في أعماق السجون

قصة واقعية

اعترافات ويوميات سجين ياباني

ترجمتها السيدة مكدونالد عن اليابانية

نقلها إلى العربية

حبيب سعيد

Call of Hope • Stuttgart • Germany

في أعماق السجون

بقلم سجين ياباني

حقوق الطبع محفوظة

All Rights Reserved

Order Number: SPB 7851 A

German title: Aus den Tiefen der Gefängnisse

English title: Out of the Depths of Prison

Call of Hope · P.O.Box 10 08 27· 70007 Stuttgart · Germany

الفهرس

تقديم الكتاب ٦
كلمة تقدير ١٤
اعترافات ١٧
١ – الباعث إلى الكتابة ١٧
٢ – أسرتي وتربيتي ١٨
٣ – القمار ٢٠
٤ – تفاقم شري ٢٢
٥ – السجن ٢٣
٦ – الهرب من السجن ٢٥
٧ – بين أيدي رجال البوليس مرة أخرى ٢٦
٨ – إحدى عشرة سنة في السجن ٢٨
٩ – من سيء إلى أسوأ ٣٠
١٠ – موظف مسيحي ٣١
١١ – رسالة من طفل ٣٢
١٢ – رسالة من زميل ٣٤
١٣ – سرقة نقودي ٣٦
١٤ – العثور على زوجتي ٣٧
١٥ – الذهاب إلى المعبد ٣٨
١٦ – قتيل أوهارو ٤١
١٧ – قتيل يوكاهاما ٤٣
١٨ – سرقة الأسلحة لارتكاب جرائم أخرى ٤٦
١٩ – الهرب من أوساكا ٤٨
٢٠ – الجريمة الأولى في طوكيو ٥٠

٢١ – الاعتراف بجريمة القتل في أوهارو ٥١
٢٢ – ذكريات وتأملات ٥٣
٢٣ – بعد الموت؟ ٥٤
٢٤ – هدية عيد رأس السنة في السجن ٥٥
٢٥ – زيارة مس وست ٥٦
٢٦ – المؤثرات الأولى ٥٦
٢٧ – «يا أبتاه اغفر لهم» ٥٨
٢٨ – هدايا السجن ٥٩
٢٩ – الصلب ٦١
٣٠ – محاكمة أوهارو ٦٣
٣١ – كهنة السجن ٦٤
٣٢ – رؤيا رهيبة ٦٥
٣٣ – الفوارق بين الناس ٦٦
٣٤ – ترنيمتي ٦٨

يوميات ٧٤

١ – الشكر من أجل المرض ٧٤
٢ – عطف سجان ٧٥
٣ – المراحم ٧٦
٤ – عن المحامين ٧٧
٥ – دروس تعلمتها من الألم ٧٨
٦ – عصفور يعملني درساً ٧٩
٧ – قصة عامل المنجم ٨٠
٨ – قلب الطفل الصغير ٨١
٩ – صديقتان ٨٢
١٠ – متناقضات ٨٤
١١ – الدراجات ٨٧

١٢ – البئر المسكونة..... ٨٨
١٣ – عن التوبة ٩١
١٤ – الفرسان الأحرار السبعة والأربعون ٩٣
١٥ – المزمور الثالث والعشرون ٩٨
١٦ – الزلازل ٩٩
١٧ – حديث مع السجانين ورجال البوليس ١٠٢
١٨ – حمام السجن..... ١٠٥
١٩ – حول القضاة..... ١٠٦
٢٠ – ذكريات ١٠٧
٢١– عطف الموظفين..... ١٠٨
٢٢ – النمل الصغير ١١٠
٢٣ – كتابة رجل غير متعلم..... ١١١
٢٤ – «عصاك وعكازك هما يعزياننى»..... ١١٢
٢٥ – قلب المسيحي ١١٣
٢٦ – القاضي ورئيس الحراس..... ١١٧
من مذكرات السيدة كارولين مكدونالد ١٢٠
مسابقة كتاب في أعماق السجون..... ١٢٤

تقديم الكتاب

منذ سنوات، وفوق ظهر الباخرة الجبارة «إمبراطورة روسيا» كنت ترى جمعاً خليطاً من إنكليز وأمريكيين وشرقيين، جمعتهم هذه الباخرة مدة عشرة أيام ليتفرقوا فيما بعد في بلدان الشرق الأقصى–اليابان والصين والملايو والفيليبين والهند. وقد هبت رياح الشمال باردة، وظهرت من بعيد جزر الوشيان بقممها البركانية المكسوة بالثلوج البيضاء، منظمة كحبات من الخرز في قلادة تطوق جيد المنطقة المتجمدة الشمالية. ومن ثمَّ انهمك ركاب السفينة في مشاغلهم داخل أبواب مغلقة، كلّ حسب هواه. وقد التفَّ نفر من الركاب حول سيدة يجري في عروقها الدم الأسكتلندي الكندي، ليستمعوا إليها وهي تروي أغرب قصة في العالم. وهي القصة التي يحويها هذا الكتاب.

والسيدة تدعى كارولين مكدونالد، وهي تؤدي خدمات فريدة من نوعها في سجون اليابان. وقد روت القصة العجيبة التي نودعها دفتي هذا الكتاب، وفيها بعض السحر الذي تراه في قصص ألف ليلة وليلة، وبعض الشرّ العاري الذي تجده في القصص المخيفة للشاعر الأمريكي «بو». إنما فيها أيضاً نموذج للإلهام الذي يصدر عن يسوع المسيح حين يستميل إليه الضالين المارقين. فإنك ترى، وأنت تقرأ القصة، حناناً منقطع النظير ينبعث من عينيه المشفقتين، وقوة قاهرة تخرج من أكرم

يدين امتدتا لانتشال نفس ضالة من وهدة الشقاء إلى رحبة السلام.

وقد وضع الكتاب أصلاً باللغة اليابانية، ثم ترجم إلى اللغة الإنكليزية، وجعل عنوانه «A Gentleman in Prison» وذلك لأن بطله «إيشي» الياباني كان أرستقراطياً نبيلاً فيما لله. فحتى في أيام انحطاطه وشقوته تلمح فيه تلك النفس الكبيرة الكريمة، وتلك الروح الناشطة الوثابة، وتلك الأنفة المعتزة النبيلة التي تأبى قبول الفضل والإحسان. وهو متوتر الأعصاب، سريع التأثر، يستجيب في إحساس مرهف إلى المكرمة وإلى الإساءة على حدّ سواء.

على هذه الآلة الدقيقة تلعب الحياة دورها بموسيقى عنيفة، وتشد الأوتار شدّاً قوياً، فيصطخب اللحن ويضطرب الصوت، ونرانا هنا أمام رجلين يحتدم بينهما نزاع دموي مرير: رجل شرير أوغل في الانتقام والأخذ بالثأر، ورجل طيب نبيل بفطرته، يستطيع أن يتبين العدل والحق في قضيته وقضايا الآخرين، ويجزم بأن العالم لا بد له من قانون يسوسه، وأن كل خارج على القانون لا مكان له تحت الشمس. والرجل النبيل لا يبقى في السجن طويلاً، فهو لا بد واجد مخرجاً إما داخل أبواب السجن أو خارجه، وفي إمكانه أن يجعل من جدران الحجر، ومن قضبان الحديد، منسكاً تخلو فيه النفس إلى ربها، بينما ينظر إليها الآخرون قفصاً تنقبض له الأسارير ويضيق

به الصدر. وبطريقة عجيبة جعل «إيشي» من سجنه صومعة الناسك المتعبد، فسمت نفسه إلى آفاق عليا من الخيال الروحي في رحابة الحرية التي لا يتذوقها إلا الأحرار في الله.

وفي هذا الكتاب يجد القارئ الكريم بعض المصطلحات الغريبة التي تفصح في ومضات خاطفة عن بعض الصور والأشباح التي يحفل بها العقل الياباني. فحين يقرأ إيشي العبارة التي جذبته إلى الخلاص، يُطعن في قلبه «كما بمسمار طوله خمس بوصات». وفي صدد التحدث عن تأففه وتضجره من الطعام، يقول إنه لم يكن قد فهم بعد أن «كل الأطعمة سواء بعد أن تنحدر من الحلق إلى أسفل بمقدار ثلاث بوصات».

وبطل القصة شغوف بتأويل الأشياء تأويلاً أدبياً أخلاقياً. فما تقع عينه على حمام السجن، وما يبصر الجنود يتدربون على ركوب الدراجات، حتى يتلمع ذهنه بتشبيه أو رمز كتابي أخلق به يوحنا «بنيان» وكارل. وهو يستخرج العبر الأخلاقية من نفسه وحياته، ويجعل سلطان الدولة فوق حقوق الفرد وذاته. وهو يفعل هذا بنغمات هادئة رزينة خالية من الغرض منزهة عن الذات، وفي مذكراته يبدو كأنه يسابق الزمن قبل أن يعلّق في عنقه حبل المشنقة. وإنك لواجد فيها كثيراً من الآراء عن إصلاح السجون، ووصفاً للعيوب التي أحسَّ بها في سجنه. وليس شيء أعظم من أن يضيف إلى كتابه – وهو بمثابة اعترافات روحية على سرير الموت – ملحقاً يلقن فيه رجال

الشرطة اليابانيين دروساً في القبض على المجرمين الفارين من وجه العدالة.

وفي هذا الكتاب لذة وشوق للباحثين في أدب اللغة وأسلوب الكتابة. فلم يكن يعرف «إيشي» شيئاً من فن التأليف والكتابة، وأعوزه الوقت للإعراب عن نفسه بعبارات منسجمة. على أن جهله في هذا المضمار قد خلع على كتابه مسحة أدبية محببة. فعباراته المفككة، ووقفاته المبتورة غير المحكمة، تزين الكتاب كله ببساطة فريدة من نوعها. فليس هناك تفكير سابق، ولا إجهاد ذهني على نحو ما يفعل المثقفون، وإنما يتميز الكتاب بإخلاص رجل غير متعلم سكب نفسه وأسالها مداداً على القرطاس. والقصة خلو من الغرور أو الاعتداد بالذات، ولكنه يطلعك صفحة بعد أخرى على سخائم نفسه البشعة، وعلى جمالها الرقيق الوديع، فتحس كأنك تستمع إلى رغاء طفل، كان في جهنم وهو الآن يطلُّ من خلال شقٍّ فتح له على مباهج المدينة السماوية الباهرة.

ولعل أبرز مظهر في الكتاب ما حوى من دراسة في علم النفس. ولو أن الأستاذ وليم جيمس العالم النفساني ظفر به يوماً، لاتخذه مادة للدرس والبحث، ولذاعت شهرته في الآفاق. وعلم النفس في السجن مادة شائقة، وخاصة لأنها تحلل هنا نفسية تتطاحن فيها بواعث متناقضة في قلب مجرم شاذ غريب. وهو نفسه يقف موقف العالم النفساني المملوء بالفضول وحب

الاستطلاع حول شخصه، والحائر في تعليل الشهوات الجامحة في نفسه الذاهلة. وفي أسوأ حالاته يحتفظ بكبرياء الرجل النبيل وكرامته، وفي أفضل حالاته يصرُّ على أن يموت لينقذ إنساناً بريئاً. وهو قاسٍ كالنمر، ومع ذلك يستجيب إلى أية بادرة من بوادر الإشفاق والعطف كطفل صغير وديع. وفي وسط حياة غارقة في لجة الرذائل يأتي بين الفينة والفينة أعمالاً يحسده عليها كثيرون من المختارين.

وهو لم يأخذ نصيباً وافراً من دراسة الآداب الدينية، وطبيعي أن تصطبغ آراؤه بالمثل اليابانية العليا القديمة، ففي قصة الفرسان الأحرار السبعة والأربعين يفترض جدلاً أنهم كانوا ينتحرون على طريقة الهاريكاري كرجال كرام، لو أن الكاهن قام بواجبه وحصل على العفو عنهم. ومع ذلك فقد شملت آراؤه الدينية بعض المبادئ المسيحية الأصيلة التي تستحث إيمان القديسين. فهو مثل بولس مقتنع بأنه أشر الخطاة، ويصرح أن أحداً لم ينحدر في الخسة والدناءة إلى الدرك الذي تسفَّل هو إليه. ولكنه يؤمن في جزم ويقين بأنه قد افتُدي، والخلود عنده أكثر يقينية من الزمن. وقد كان إيمانه في عقيدة الخلود مطلقاً بحيث يدهشنا أن نراه يُشغل بتهذيب عقله في خلال الأيام القليلة الباقية من حياته، لكي يكون أكثر أهلية من الناحية العقلية في حياته الجديدة في السماء عندما تدنو ساعته. أما نظرته إلى النهاية فمشبعة بفرحة الهيام والتهليل التي نراها بين

المسيحيين الأولين في عهد الإضطهاد الدموي. وقلبه فيّاض دائماً بالشكر لله على النعم التي أضفاها عليه.

ويُقال أحيانا إن الشرق شرق والغرب غرب، وأن ثمة صعوبات تحول دون التفاهم المتبادل بين الشرق والغرب. فالآراء مختلفة، والحياة مختلفة، والعادات والتاريخ يختلفان. وكأنما نقف أمام عقبة كأداء. وقد يقال إن المثقفين أقدر على التفاهم والتقارب في الفكر ووجهة النظر، أما عامة الشعوب فتكاد تكون في حالة ميئوس منها. على أن قصة هذا السجين تقدم لنا مثالاً ينقض هذه المزاعم. فها هنا إنسان، غير مثقف غارق في الجريمة، محكوم عليه بالموت لارتكابه جريمة القتل، يترقب كل يوم مصيره المحتوم الذي ساقته إليه جرائمه، هذا الإنسان تلمسه يد امرأة أجنبية عنه، تباعد بينها وبينه التقاليد والتاريخ والثقافة تباعد النهار عن الليل، لكن رسالة محبة الله الجامعة تلمع كالبرق في ظلمات الفوارق البشرية، فتستجيب نفس هذا الإنسان إلى نداء المحبة. وتثبت هذه القصة المأخوذة من وقائع الحياة، أننا على الرغم من الفوارق الظاهرية التي تفصلنا، واحد في أعماق الألم والحزن والخطية، وأننا واحد في ذرى المحبة والعطف والله.

أما القضية ذاتها فكانت غريبة حقاً في كل ملابساتها، وقيل إنها أغرب القضايا التي عرضت على المحاكم اليابانية:

قُتلت فتاة يابانية على مقربة من طوكيو واتهم عشيقها بقتلها

فأُلقي القبض عليه، واعترف بارتكابه الجريمة أمام البوليس، ولكنه أنكرها في المحاكمة العامة مدعياً أن البوليس انتزع منه اعترافه بوسائل الإكراه والتعذيب. وكانت هناك أدلة قوية ضده لأنه كان آخر من شوهد مع الفتاة قبل قتلها، وكان المعروف أنهما تشاجرا وتشاحنا. فثبتت إدانته وحكم عليه بالإعدام.

على أنه قبل تنفيذ الحكم ألقي القبض على مجرم شقي يدعى «إيشي» لارتكابه جريمة صغرى في طوكيو وأودع السجن. وكان معه في الخلية زملاء من المسجونين يتحدثون عن الجرائم في طوكيو، فاسترق «إيشي» السمع وإذا بهم يقولون أن مجرماً اتهم بقتل فتاة في أوهارو وحكم عليه بالموت. وفوراً هبّ إيشي واعترف بأنه هو القاتل وليس الرجل الذي حكم عليه. وقد أثار هذا الاعتراف ضجة كبرى في دوائر السجن. وبدأ التحقيق من جديد في القضية. على أن المحكمة لم تجد أي دليل يثبت علاقة إيشي بالجريمة، وبرأته على الرغم من اعترافه. ولكن النائب العام استأنف الحكم، وأعيدت القضية إلى محكمة الاستئناف.

وطالت المحاكمة وتشعبت القضية واكتسبت شهرة واسعة، فامتلأت أعمدة الصحف بتفاصيلها وملابساتها الغريبة وظروفها المدهشة. فها هوذا رجل يعترف بارتكاب الجريمة، ثم ينكر، ولكن يحكم عليه بالموت لثبوت إدانته بأدلة واقعية. ثم يظهر على مسرح القضية رجل آخر، يعترف بارتكابه الجريمة عينها،

ولكن يصدر فيه حكم البراءة على الرغم من اعترافه. على أنه أثناء نظر القضية في الاستئناف ظهر دليل جديد أثبت اعتراف إيشي بكل تفاصيله وحكم عليه بالموت. وبذلك أمكنه – على حد قوله في كتاباته – أن يكفر بعض التكفير عن ذنوبه، وفي الوقت نفسه ينقذ رجلاً بريئاً من براثن الموت.

وكان «إيشي» في السابعة والأربعين من عمره، لم ينل قسطاً من التعليم. ولكنه ذو عقل راجح وذهن صاف. عاش في الجريمة كما يتبين من قصة حياته، ولكن مع الوصمات المشينة التي علقت به، كان في أثناء محاكمته ثابت الجنان رقيق الوجدان.

وفي خلال أيام الانتظار التي سبقت تنفيذ الحكم فيه، تناول قلماً ليشرح الظروف التي أدت به إلى الجريمة، وقصة توبته وندامته. وظل يعمل ليل نهار حتى فرغ من مهمته لأنه لم يكن يعلم متى تجيء ساعته.

ثم سلّم مخطوطته – عن طريق سلطات السجن – إلى السيدة مكدونالد التي كانت تفتقده بين آن وآخر. وقد ترجمت المخطوطة إلى الإنكليزية محتفظة ببساطتها وعباراتها الأصلية. وها نحن ننقلها إلى اللغة العربية، آملين أن يكون لها من التأثير في نفوس قراء الشرق الأدنى، قدر ما كان لها في نفوس قراء اليابان وبلدان الغرب.

كلمة تقدير

للسيد سوزوكي المحامي وعضو البرلمان الياباني

(السيد سوزوكي هو المحامي وعضو البرلمان الذي يتحدث عنه إيشي في مذكراته بالإعجاب وحسن التقدير، ويخصه بعطفه ومحبته. وقد كتب مقدمة للطبعة اليابانية من هذا الكتاب وإلى القارئ ترجمتها:)

حينما قرأت قصة إيشي، لم يسعني إلا أن أذكر القصة الخالدة التي وضعها فكتور هوجو وأسماها «البؤساء». فبطلها جان فالجان طرح في غياهب السجن مدة خمس سنوات وهو في الخامسة والعشرين من عمره لارتكابه جريمة صغرى. ولكن بسبب محاولة الهرب مرات متوالية، امتدت هذه المدة إلى تسعة عشر عاماً. ولما أطلق سراحه انطلق تواً إلى دار الأسقف ميريل. وعلى الرغم مما أسبغه عليه الأسقف من عطف وحنان سرق طبقه الفضي. ولكن الأسقف غفر له، وقد أذاب هذا العفو قلبه، وصار إنساناً جديداً بفضل كلماته المأثورة: «لقد اشتريت نفسك منك».

هذا فعل الأخلاق الكريمة الفاضلة

وكان إيشي أشر من فالجان، فقد ارتكب جرائم السرقة والسطو والقتل، وزجّ في السجن عشر مرات حيث قضى عشرين عاماً. كان مجرماً فتاكاً، ووغداً لئيماً لا نظير له. ولكن هذا الرجل،

بفضل تأثير السيدة مكدونالد، تذوب نفسه كما يذوب الثلج في شمس الصباح، ويتوب عن جرائمه، ويغدو إنساناً جديداً.

وهذا أيضا فعل الأخلاق الكريمة الفاضلة

وإذا حقّ لأحد أن يمتدح فضائل الأسقف، فإنه لزام علينا أيضاً أن نمتدح فضائل السيدة مكدونالد. كان الأسقف ميريل رجلاً شيخاً، وكانت السيدة مكدونالد سيدة هزيلة ضعيفة البنيان.

وكان «إيشي» أخطر في إجرامه وشره من فالجان، حتى يصح القول إن تأثير السيدة مكدونالد كان أقوى وأفعل من تأثير الأسقف ميريل.

على أن «البؤساء» كانت رواية. وأغلب الظن أن شخصية الأسقف كانت من مبتكرات المؤلف. أما قصة إيشي فهي قصة واقعية، وشخصية السيدة مكدونالد ليست من نسج الخيال.

وفي قصة «البؤساء» يتطوع فالجان لتقديم نفسه إلى محكمة أراس لإنقاذ حياة إنسان آخر قائلاً: «ليس هذا الرجل فالجان، أنا هو فالجان الحقيقي». كذلك قدم إيشي نفسه إلى المحكمة من تلقاء نفسه لينقذ كوموري – الذي كادت حياته تلامس حافة الموت – قائلاً: «ليس كوموري هو المجرم. أنا هو القاتل الحقيقي».

وإذا جاز لنا القول إن فالجان كان رجلاً صالحاً، فمن الحق أن نقول إن إيشي كان قديساً.

وقد ظنت محكمة أراس فالجان معتوهاً حينما اعترف، كذلك أخطأت المحكمة في قضية إيشي، وبرأته في المحاكمة الأولى على الرغم من اعترافه وضد رغباته. وكما أن محكمة أراس قد نجت وهي على وشك الوقوع في خطإ فاحش، كذلك نجت محاكم اليابان من خطر السقوط، وهي على وشك الانزلاق إلى خطأ مريع.

ولئن يكن فالجان قد تألم كثيراً، فإنه قد تعزى بما ناله من عطف الفتاة كوزيت وحنانها وإشفاقها. أما إيشي فقد قضى فوق المشنقة.

تاب الرجلان في ظروف مماثلة، ولكن اختلفت طريقة موتهما. أترى أن في هذا كله معاني خفية؟ لست أدري.

قد مات إيشي. ولكن روحه ستبقى خالدة في كتيبه هذا.

اعترافات

١ – الباعث إلى الكتابة

أريد أن أتحدث إلى قرائي عن مدى التغيير الذي أحدثته في قلبي قوة يسوع المسيح. ولكن أراني مضطراً قبل كل شيء أن أبدي كلمة تمهيد وتعليل: «في طفولتي كان أبواي فقيرين رقيقي الحال، ولم أذهب إلى المدرسة إلا سنتين فقط. ومنذ ذلك الحين، أي أكثر من ثلاثين عاماً، لم أمسك بيدي قلماً، وها أنا الآن أتناوله لأكتب قصة حياتي. ومن العسير على إنسان جاهل مثلي أن يكتب بغير الأسلوب البسيط الذي لا صنعة فيه. لذلك سأسطر بعبارات بسيطة صادقة الأشياء التي حدثت لي منذ طفولتي حتى اليوم، وأشرح كيف آمنت، وأنا في السجن، بقوة المسيح العظمى التي لا حدّ لها وبرحمته العميقة التي لا تُستقصى، ولكي أفعل هذا لا مندوحة من أن أستعرض ما لصق بي من عار وخزي، وأعترف في غير تحفظ بما اقترفت من شر وإثم. وحسبي جزاً أن يفيد من هذه القصة في المستقبل إنسان ساقط مثلي ويتعظ بمعجزة خلاصي بقوة إرشاد الله، وبفضل جهود السيدتين الكريمتين – مس وست ومس مكدونالد – اللتين افتقدتاني في السجن».

٢ – أسرتي وتربيتي

كان أبي يوما ما متعهداً لتوريد المؤونة لسيد إقطاعية «هيكون»، ولكنه كان يدمن المسكرات ويتناول منها كميات كبيرة كل يوم. لذلك فشل في عمله وغادر هيكون وانتقل بأسرته إلى بلدة «نجويا» أما أمي فكانت ابنة كاهن معبد شنتوي في «نجويا». وكنت أنا أصغر إخوة ثلاثة، ولكن مات الاثنان وأنا بعد طفل صغير.

عشنا في رغد من العيش حتى بلغت الرابعة أو الخامسة، ولكن أبي كان قد أنفق كل شيء على المسكرات، وبدأت أمي تشعر بالضيق والحاجة، على أنها كانت متفانية في محبتي، وكانت تستغني عن ضروريات الحياة اللازمة لها لكي تهيئ لولدها الوحيد أسباب العيش.

ولما بلغت العاشرة من العمر غادرت المدرسة، وأخذت أمي تحدثني عن متاعبها وآلامها، فكانت تقول: «لست أدري ماذا أفعل بأبيك. أريدك أن تعينه. وعليك حين يخرج في الصباح أن تتبعه أينما ذهب وتبعده عن حانات المسكر». ففعلت ما أمرتني به. وكنت وأنا صبي صغير في العاشرة أقتفي خطى أبي، وأشدُّه من أكمام ثوبه إذا رأيته يقف أمام حانة قائلاً: «أتوسل إليك أن تعود معي إلى البيت. إن أمي مضطربة قلقة عليك». على أن جهودي كانت تذهب سدى في أغلب الأحيان.

وكان يعثر عليه الجيران ملقى في أقنية الماء، ويجيئون به إلى البيت بعد منتصف الليل. وكانت أمي كريمة النفس، فأحست إحساساً عميقاً بهذه اللوثة تشين الأسرة كلها. وأخذت الأمور تزداد سوءاً، وتفاقم الخطب، حتى قضينا سنة كاملة في ضيق خانق وحاجة ذليلة.

وتحيق بالأسرة نكبة أخرى. فإن أمي أصيبت بحمى خبيثة وكنت أنا في الحادية عشرة من عمري. فلم يكن من أبي إلا أن أخذنا إلى بيت خالة لي، ثم اختفى وتركنا نتخبط في الحياة. وكانت خالتي فقيرة جداً، وقد ساور أمي قلق لا يوصف أن تُهجر بهذا الشكل الزري، ولم يكن في طاقتنا أن نستحضر لها طبيباً لعلاجها.

وفي ذلك الحين فشا وباء الكوليرا، وراح رجال البوليس يطرقون كل وسيلة للبحث عن المصابين بالحمى. وقد عمد الأغنياء والفقراء على السواء إلى إخفاء مرضاهم عن أعين البوليس، وذلك زعماً منهم أن المرضى كانوا يؤخذون إلى معزل وتُعطى لهم جرعات من مخدّر قوي تقضي عليهم في الحال. وخشيت، وأنا الصبي الساذج، أن تؤخذ أمي إلى هذا المعزل الفتّاك، وأحسست أن من واجبي أن أعمل وأكافح في سبيل شفائها. وما كان أعظم فرحي أن يصف لي أحد الجيران دواء «مركباً» من ديدان الأرض المغلية، ويؤكد لي أن أمي تبرأ من علّتها إذا تجرعته.

ونظراً لفقر خالتي المدقع اضطررت أن أجاهد وأشتغل وأنا بعد في الحادية عشرة من عمري لأقوم بأود الأسرة، فحملت على كتفيّ قضيباً علّق في طرفيه دلوان، وكنت أسير مسافة ميلين أو ثلاثة إلى القرى، وأبتاع (نشارة) الخشب – التي كنا نحرقها لإبادة البعوض – وأجيء بها لبيعها لأصحاب المنازل. ومن هذا المال القليل الذي كنت أكسبه، كنت أعول الأسرة وأبتاع الدواء لأمي، وذاع صيتي بين الجيران كابن بار بأمه. وأخيراً برئت أمي من علّتها دون أن يعودها طبيب.

٣ – القمار

وبعد قليل عاد أبي وبدأنا نحن الثلاثة حياتنا من جديد. ومن سوء الحظ أن القمار كان لوثة المدينة التي عشنا فيها، وحتى الأحداث الذين لم تزد أعمارهم عن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كانوا يقامرون. وإلى ذلك الحين لم أكن قد عرفت شيئاً من الشر والفساد، ولكن كان من الهيّن أن يصاب الإنسان بعدوى الجيران، فرحت أقامر مع المقامرين، وبدأت أحتاج إلى المال. ولم يكن يكفيني القليل الذي أخذته من والديّ، فشرعت أسرق...

وكان هذا فاتحة حياة الإجرام التي أغرقت فيها. والآن بعد سنوات، أدركت جيداً كيف يتأثر الإنسان بالمعاشرات الرديئة والأوساط الشريرة.

وسرعان ما وقف أبواي على خبيئة نفسي وشر أفعالي، وزعما أن بقائي في البيت لن يجدي نفعاً، فأرسلاني أجيراً عند رجل من أصحاب مصانع الخزف في بلدة تدعى «سيتو» تبعد خمسة عشر ميلاً عن «نجويا». فما استطعت أن أحتمل التضييق في بيت غريب، وأنا الغلام الحر الطليق في بيت أبي، فهربت لأبحث عن عمل آخر. ولكن أحسست بالضيق مرة أخرى، وعدت أخيراً إلى البيت، وأخذت أتنقل من عمل إلى عمل، ولم أستطع الثبات والاستقرار في مكان ما، وحار أبواي في أمري وتركاني حراً أفعل ما أشاء.

وأخيراً رحت أتاجر متجولاً في أواني الخزف، وأنفقت المال الذي كسبته في القمار، وقد رافقني حسن الحظ إلى حين، ولكن خسرت تدريجياً كل مالي، وألقيت نفسي في ورطة شنيعة مؤلمة.

ولم تنفعني نصائح أبويّ وأصدقائي، وكانت أشبه بصفير الرياح في أذن الجواد الجموح، وأمعنت في الشر ولم أكن أُعنى إلا بلذات الساعة العاجلة. أدمنت المسكرات، وتشاجرت مع زملائي، وغشيت منازل الفسق والدعارة، وأمسيت عالة لا أصلح لشيء ما، وعدلت عن كل جهد لكسب عيشي بطريق شريف.

٤ – تفاقم شري

في تلك الأثناء حدثت زلزلة هائلة اكتسحت مقاطعتي «جيفو» و«إيشي»، فنشطت تجارة الخشب لإصلاح ما دمرته الزلزلة، وأخذت أبحث عن عمل حتى اهتديت إلى مصنع مشهور كبير. وكان يفد العملاء كل يوم لقضاء حاجاتهم وشراء الأخشاب بكميات وافرة. وفي يوم ما اتفقت مع زميل لي على إخفاء كمية كبيرة من الخشب وأفلحنا في تهريبها دون أن يلحظنا أحد. على أننا أنفقنا المال الذي جنيناه على المومسات والسكر والقمار. وزدنا في الجرأة وأمعنا في سرقة كميات أكبر زعماً منا أن أحداً لن يمسكنا. ولكن عرف أمرنا أخيراً وقبض علينا متلبسين بالجريمة، وكان صاحب العمل رجلاً رحيماً طيب القلب، فلم يبلّغ أمرنا لرجال الشرطة واكتفى بطردنا من عمله. ولعله كان خيراً لنا لو أننا تلقينا الدرس القاسي عندئذ ونلنا جزاء ما صنعنا، ولكن شاءت الأقدار أن يكون الرفق بي وبزميلي باعثاً على إمعاننا في الشر والإثم.

على أنه بعد ذلك، أُلقي القبض عليَّ وأُلفيت نفسي في دار الشرطة لأول مرة في حياتي. فتولاني ذعر شديد. وقضيت الليلة الأولى في خابية بمفردي، فزاد هذا في اضطرابي وفزعي، ولم أذق طعم النوم تلك الليلة، وكنت أصلي قائلاً: «اللهم ردَّني إلى البيت». (لم يكن الله هذا هو المسيح، فما كنت قد عرفته بعد).

وقلت لنفسي: إذا ردَّني الله إلى البيت، فلا أعود إلى فعل الشر.

٥ – السجن

لم تُستجب صلاتي، لأني أُرسلت إلى السجن تمهيداً للمحاكمة. وفي انتظار المحاكمة يوضع المجرمون العائدون مع غيرهم، وتسنح لهم الفرصة للتحدث وتبادل المعلومات. وقال لي زميل كان قد سجن قبل الآن: «طب نفساً يا صاح، ولا تعبأ بمثل هذه الجريمة التافهة». فنسيت بفضل هذا التشجيع كل أهوال السجن، وكنت عندئذ في التاسعة عشرة من عمري.

وهنا أريد أن أذكر بعض أفكاري التي دارت في مخيلتي وأنا أختبر السجن لأول مرة: كنت إلى ذلك الحين أظن أن السجن مكان رهيب مخيف، أما الآن وقد جزته، فإني أجده أهون وأخف مما كنت أظن، وليس فيه ما يرعب ولا يرهب. كان موظفو السجن رقيقي الحاشية نحو المجرمين الحديثين، ولم أشعر بشيء من المضايقة.

وانتزعت من نفسي رهبة السجن، وكان هذا علة سقطاتي اللاحقة والجرائم التي اقترفتها. ولو كنت ممن نالوا قسطاً من التعليم والثقافة، لكنت استقبلت لين رجال السجن استقبالاً حسناً، ولأثمر فيَّ العطف ثمراً نافعاً. أما وأنا غرٌّ جاهل، فقد استسغت

هذه المعاملة، وحسبت السجن مكاناً لا بأس أن يقضي المرء فيه فترة من حياته.

ثم يجب أن أذكر شيئاً آخر: أينما أدرت بصرك في السجن، إلى اليمين أو إلى الشمال، لا ترى شيئاً غير المسجونين في ملابسهم العادية المألوفة، فلا تشعر بشيء من الخجل لأنك وإياهم سواء بسواء. والناس في السجن جماعة من السفلة الأوغاد، لا كلفة بينهم، ولا يعيب أحدهم الآخر، بل أننا نتحدث فيما بيننا عما سنفعل عند خروجنا، ونحبك داخل السجن الجرائم التي ننوي اقترافها عند إطلاقنا. وحقيقة الأمر أن السجن مجرد مدرسة لتعليم الجريمة. والمفروض أن لا نكلم بعضنا بعضاً، ولكن هذه القوانين لا تطبق بصرامة على المجرمين الحديثين. ونتيجة هذا التساهل أن نحبك جرائم المستقبل ونحن في انتظار المحاكمة عن الجريمة الأولى. ولهذا ننظر إلى الجريمة كأنها شغلنا الشاغل، وننسى الآلام التي تنشأ عنها للآخرين. هذه حالة نفسية رهيبة، يتنقل فيها الإنسان من جريمة إلى أخرى، حتى يرتكب – كما فعلت أنا – أشنع الجرائم وأنكر الموبقات.

وإني أعتقد أن المجرمين لأول مرة في حاجة إلى عناية خاصة ومعاملة من نوع آخر. فإنهم إن لم يتوبوا، ساءت حالهم، وصاروا – كما صرت أنا – من أشر مخلوقات الله، وأشدهم جرأة في ارتكاب الجرائم التي لا تمحى آثارها.

٦ – الهرب من السجن

بعد أن دخلت السجن أربع مرات صرت مجرماً عائداً خبيراً في الإجرام. وقد جرت العادة بين جماعة المسجونين أن يكون الامتياز تبعاً لكثرة الجرائم. وكلما كبرت الجريمة، زاد الشرف الذي نضفيه على المجرم، والناس يتشدقون علانية وفي زهو عن السيئات التي اقترفوها. فإذا كان بين القوم مجرم حديث لم يرتكب إلا جريمة صغرى، فليس له كرامة بين جماعة المسجونين. وتحت ضغط هذه المؤثرات اعتزمت وأنا بعد في مستهل حياة الإجرام أن أرتكب جريمة فظيعة أنال بها شرف الامتياز بين جماعة المسجونين.

وليس يُنتظر من إنسان مثلي شغلته هذه الأفكار أن يستقر في مكان، فرحت أحكم التدابير للهرب، وصنعت لنفسي غطاء من قماش مشمع حصلت عليه من زميل لي في قسم الخياطين، وفي يوم مطير لففت نفسي به وهربت دون أن يلحظني أحد.

وبعد هربي مباشرة ارتكبت جريمة سرقة، وسافرت تواً إلى طوكيو بالمال الذي سرقته، وهناك هرعت إلى دار صديق لي وأخذت أتسكع مدة أسبوع. وبعد ذلك استأجرت منزلاً. وفتحت حانوتاً صغيراً لبيع الحديد (الخردة). وفي يوم ألقي القبض عليَّ للاشتباه في أمري، ولم أستطع أن أعلل وفرة المال الذي كنت أنفقه مع ضآلة شأن تجارتي. ثم حبست عشرة أيام في

دار الشرطة بتهمة انتحال اسم غير اسمي. وأخيراً اعترفت بأني استحوذت على المال بلعب القمار، فلم أسأل بعد ذلك عن شيء. وقد علمني هذا الاختبار أن أرتاب في أمر كل الذين كانوا يجيئون إلى حانوتي ظناً مني أنهم قد يكونون من المخبرين أو رجال الشرطة. وتولاني من جراء ذلك الرعب والفزع حتى ساورني أرق ممض.

٧ – بين أيدي رجال البوليس مرة أخرى

لم يكن في الإمكان أن تدوم الحال على هذا المنوال. وبعد ثلاثة أشهر سيق بي مرة أخرى إلى مركز البوليس. وقضيت الليلة الأولى والنوم ملء أجفاني على نقيض الليالي التي قضيتها عقب هربي من السجن، وزالت عني رهبة السجن، وألفت المقام فيه فلم أعبأ بشيء.

حكم عليَّ في تلك المرة بالسجن خمسة أشهر. وكان فرضاً عليَّ أن أحسن التصرف بعد ذلك. ولكن قبل خروجي بأربعين يوماً، تشاجرت مع أحد زملائي، وزيدت مدة حبسي ستة أشهر أخرى. وفي تلك الأثناء مات والدي، وتُركت أمي العجوز وحيدة مستوحشة. وقد أيقنت أنها كانت تنتظر عودة ولدها الشارد الضال بفارغ الصبر وتحصي الأيام على أصابع يدها مترقبة عودتي نادماً تائباً. على أنني لم أعر اهتماماً لآلامها وحنانها، وتماديت في الإثم والشرّ. حقاً إني ولد عاقّ ناكر

للجميل!

لما خرجت من السجن كنت قد بلغت التاسعة والعشرين من العمر. عدت إلى البيت، ودون استشارة أمي، افتديت داعراً من المومسات واتخذتها زوجة لي على أنني جنحت إلى استقامة الحياة وبدأت أعمل في إصلاح الساعات، وهي الصنعة التي تعلمتها وأنا في السجن، وقضيت مع زوجتي حياة سعيدة مدة ثلاث سنوات على الرغم من قلة موارد العيش وضآلة الكسب. وفي الأيام التي قضيتها في الإثم والجريمة، ما عرفت يوماً لذة الحياة، حتى مع وفرة الطعام والشراب، لأن قلبي كان خلواً من السلام الحقيقي.

لازمني التوفيق زمناً. ولكن حدث في يوم ما أن جاء إلى زيارتي زميل قديم من زملاء السجن، وإحياءً لتلك الذكرى تناولت معه الخمر مرة، فثانية، فثالثة، حتى عادت ريمة إلى عادتها القديمة، وعاود الحديد الصدأ. واستغوتني لذات الحياة القديمة. وبدأت مرة أخرى حياة الجريمة. وسرعان ما عرفت زوجتي خبيئة أمري. ونصحتني أن ننتقل من «نجويا» إلى طوكيو. وكانت أمي قد بلغت الثانية والسبعين من العمر. فائتمرت بنصيحة زوجتي وانتقلت مع أسرتي إلى طوكيو، وهناك استأجرت داراً صغيرة في أحد الأحياء الفقيرة، وكان ذلك في شهر إبريل من سنة ١٩٠٢– وراحت زوجتي تبيع بعض السلع الصغيرة، ورحت أنا أبحث عن عمل. وأخيراً فتحت حانوتاً لبيع

الخبز، وهي تجارة ما عرفت من أمرها شيئاً ففشلت. وفي يوم ما التقيت بزميل قديم، واستهوتني التجربة مرة أخرى. ولو كنت قد ندمت حقاً، لما سقطت في الهوة مرة أخرى، ولكن التجربة غالبتني بسبب فشلي في عملي وخور عزيمتي. كانت توبتي سطحية لم تتوغل إلى أعماق نفسي.

٨ – إحدى عشرة سنة في السجن

والآن هجرت زوجتي وأمي العجوز وارتكبت جريمة السرقة، فأمسكت وحكم عليَّ بإحدى عشرة سنة في السجن. ولما كنت قد انتحلت اسماً غير اسمي، فإن أسرتي تعبت في البحث عني وتعقب خطواتي، وعانت شدة ليس بعدها شدة. وأنا الآن أعجز عن وصف المسلك الشائن الذي جلبت به العار والضنى على زوجتي وأمي، وقد علمت بعد إطلاق سراحي من السجن أنهما عادتا إلى البيت القديم في «نجويا»، وهناك ماتت أمي كسيرة القلب باكية ولدها الذي ضلَّ وشرد. أما السجن الذي قضيت فيه هذه الإحدى عشرة سنة فكان في «شيبا» وهي ولاية متاخمة لطوكيو.

وهنا أريد أن أقول شيئاً عن حياتي في السجن خلال هذه السنوات: لم أتب قط، واعتزمت أن أهرب من السجن. وبعد عناء شديد تمكنت من الحصول على مسمار طوله بوصة ونصف، وسننته على حافة قطعة من الفخار، وصنعت «بريمة» بثلاث

ثنيات، وبعد جهاد عشرين يوماً فتحت بها ثغرة. وكان ثلاثة منا دبروا الهرب ولكن أمسك أول من بدأ المحاولة منا، وفشلت هذه التجربة. وكان المعقول أن أتعظ وأستكين، ولكنني عوضاً عن ذلك رحت أجهد فكري في تدبير وسيلة أخرى للهرب. وأخيراً أفلحت في صنع منشار طوله ثلاث بوصات ونصف، وتسللت به إلى خابيتي خفية، وبدأت أقطع به قضبان النافذة. وعندما أوشكت على قطع القضبان كلها، كُشفت الحيلة وعوقبت عقاباً صارماً، وكبّلت يداي ورجلاي بالأصفاد، وبقيت على هذه الحال ليل نهار مدة من الزمن. ولم تكن هذه المعاملة أسوأ مما أستحق.

ولما حاولت الهرب قبل ستة شهور عاملني رجال السجن معاملة لينة كريمة، لذلك لا ألومنّ إلا نفسي من أجل هذه المعاملة القاسية التي ألقاها الآن. ولو كنت إنساناً عادياً، لندمت واعتذرت لرجال السجن، ولكنني أمعنت في السوء واليأس، ولم أستمع إلى نصح أحد. وكنت أعاقب دائماً بسبب اعتدائي على قوانين السجن، وظننت كل الموانع والروادع قسوة، وامتلأت نفسي كراهية لكل الناس، ولم أستطع العيش في سلام حتى مع زملائي، بل تشاجرت معهم بغير انقطاع. وأخيراً وضعت في الحبس الإنفرادي.

٩ – من سيء إلى أسوأ

لم ينفعني الحبس الإنفرادي، بل زاد من عنادي ومشاكستي ومرارة نفسي. لعنت السجانين وشتمتهم بأقذع الشتائم، وتشاجرت معهم. حطمت الأثاث في خابيتي، وسلكت مسلك المجنون الجموح. وأخذ رجال السجن يتحدثون عني كوغد لئيم غريب الأطوار. ويوماً ما اشتكيت لأني أراقب باستمرار. وحينما أفكر اليوم في هذه الشكوى أجدني بعيداً عن جادة التعقل، لأني كنت في الواقع شرساً فظاً، أخدع رجال السجن، وأعتدي على القوانين، ولا أطيع الأوامر. وفي مثل هذه الحالة لم يكن مفرٌّ من العقوبة. وقضيت نصف مدة السجن الإحدى عشرة سنة في الحبس الانفرادي، ولا أذكر كم مرة وُقِّعت عليَّ العقوبة في خلال هذه المدة.

على أن أقسى عقوبة عانيتها كانت حرماني من العمل عشرة أيام متوالية. وضعت في خابية بمفردي، ولم يكن يُسمح لي بالخروج مطلقاً، ولا بالقراءة، ولا بعمل شيء ما وقد يبدو لغير مختبر أن إرغام إنسان على الكسل والتراخي ليس عقوبة، ولكنه اختبار رهيب أن يجلس المرء عشرة أيام متوالية، ليل نهار، دون أن يعمل شيئاً، وذلك لأن العقل ينشط في أثناء العمل، وينسى الإنسان الألم. وقد عوقبت أيضاً بالإقلال من كمية الطعام، وبوضعي في غرفة مظلمة، ولكن هذه العقوبات لم أكن أعبأ بها كثيراً.

١٠ – موظف مسيحي

يوماً ما كنت في السجن لمدة سبع سنوات، وحدث أن غضبت مع موظف مسيحي لتوبيخه إياي، فتهجمت عليه وضربته. لهذا وُضعت كمامة في فمي، وربطت يداي، وعلق جسدي، وبالكاد لمست قدماي الأرض. ومع هذا كله بقيت على عنادي ولم أرد أن أعترف بالخطأ. فهل أسمّي هذا عناداً، أم أحسب نفسي إنساناً قاسياً عنيداً لا مثيل له؟

وفي هذه الفترة – وكان ذلك في سنة ١٩١١ – قيل إن وكيل السجن رجل مسيحي عُرف عنه بأنه طيب القلب دمث الأخلاق. وقد تأكدت من صدق هذا القول، فإنه جاء يوماً إلى خابيتي وأنا أعاني هذا العقاب الرهيب الذي وصفت. ولما شاهد عذابي وضيقة نفسي أبعد الحارس المكلف بحراستي، وحلّ الحبل الذي كنت مربوطاً به، وأنزلني على الأرض. ثم أخذ المنشفة التي كانت حول حقويّ ومسح العرق من وجهي. ودون أن أدري أحسست الدموع تنحدر على خدي. فما فكرت قط أن إنساناً يعامل مجرماً قاسي القلب مثلي بمثل هذا الإشفاق الذي لست أهلاً له. ومن ذلك الحين تغيرت تغييراً كاملاً وصرت إنساناً جديداً.

ما أغرب قلب الإنسان! في أيام التمرد والاعوجاج نظرت إلى جميع الناس – موظفين وزملاء – كأنهم أعداء لي. ولكن

بعد أن تجددت، نظرت إلى جميع الناس كأنهم تجددوا أيضاً. وبعد ذلك ما كنت ألقى من موظفي السجن غير العطف والإشفاق.

وقبل نهاية المدة بثلاث سنوات، نلت مدالية حسن السلوك من مدير السجن، وصممت على أن أصلح حالي بعد إطلاق سراحي، وقررت أن أستخدم المال الذي أحصل عليه من عملي في السجن في كسب عيشي بطريق شريف، ولما أطلق سراحي حصلت على نحو ثمانين ين مكافأة من عملي في السنوات الأخيرة التي أصلحت فيها.

١١ – رسالة من طفل

وقبل أن أتحدث عن حياتي بعد مغادرة السجن، أريد أن أقص رواية عن زميل آخر لي، كان معي في نفس الخابية قبل أن يُصلح أمري: كان الرجل محكوماً عليه بالسجن مدة تسع سنوات لارتكابه جريمة سرقة، وكنا نقضي وقتنا معاً، وكنا صديقين حميمين، نتبادل التفكير في تدبير وسائل الهرب. وفي يوم ما بدا الرجل كئيباً حزيناً وشهدت الدموع تتساقط من عينيه. فدهشت لأني عهدته لا يتأثر بشيء مطلقاً، حتى بالحديث اللين الرقيق مع قسيس السجن. فسألت الرجل: «ما خطبك؟» فلم يجب بشيء في أول الأمر. ولما ألححت عليه قال: «اسمع يا أخي. لي في العالم زوجة وولد في التاسعة

من عمره. وقد تلقيت رسالة من ولدي كتبها بلغة الطفولة، والآن أستطيع أن أشارك الولد الصغير الذي يُزجُّ والده في السجن – إحساسه. يقول لي إنه حين يتشاجر معه زملاؤه في المدرسة يعيرونه بأنَّ أباه لص نزيل السجون. وهو لذلك يخجل ويستخذي (يتّضع وينقاد)، ويهرول مسرعاً إلى البيت في نهاية اليوم المدرسي هرباً من تعيير زملائه. وحين قرأت هذه الرسالة، أحسست بالخجل والخزي، ونخس قلبي في داخلي». أما أنا فلم أتأثر بهذه القصة وقلت فقط: «أبهذا القدر تكون قيمة الأولاد؟» فأجاب الرجل: «قد أكون أنا نفسي رجلاً شريراً، ولكنني أريد أن يكون ولدي صالحاً».

لم أتأثر بقصته وقتئذ، لأنه لم يكن لي ولد، وكان قلبي ما زال شريراً. ولكن حين أفكّر فيها الآن تغالبني العاطفة. ما أعظم محبة الوالدين! وما أكثر ما يعانون في سبيل إعادة الإبن الضال الشارد مثلي! لا يمكن مقارنة هذه المحبة بشيء آخر في الحياة. ليس كمثلها شيء. وحين أعود إلى الوراء وأذكر أن ذلك المجرم الشرير – نظيري – الذي لم يذرف دمعة في حياته – ينتخس قلبه وينفلق بمجرد رسالة تأتيه من طفله الصغير – حينما أذكر كل هذا لا يسعني إلا القول إن الرسائل التي يتلقاها المسجونون من زوجاتهم وذويهم أفعل في أثرها من أقوى النصائح التي يلقيها عليهم رجال الدين في السجن. وحسب قانون السجن لا يُسمح للسجين بأكثر من رسالة واحدة

كل شهرين، ولكن يخيَّل إليَّ أنه لو سمح للمسجونين بتلقي الرسائل من ذويهم، لكان هذا باعثاً قوياً على إصلاح حتى أشر المجرمين. ولقد شهدت هذا بعينيَّ، فالشعور ليس عميقاً في قلب المجرم. وكان شعوري أنا خاصة سطحياً لا أثر له في أعماق نفسي، فإذا لم يتلقَّ السجين رسائل من ذويه أكثر من المقرر الآن، فإن ذكرياته عن البيت والأسرة تضعف، ولا يميل سلوكه إلى التحسن وهو في السجن، أما إذا شغل فكره بزوجته وأولاده، فإنه لا يعتدي على قوانين السجن.

إن هذا الرجل الذي رويت قصته الآن صلح حاله بعد تلقي رسالة ولده، ولكن العقوبات الكثيرة التي كان قد عاناها بسبب مخالفاته هدَّت جسده ومات وهو في السجن. ولو أنه أصلح قبل ذلك، لعاد إلى بيته وأسرته سليماً. لا شك أنه لا يلومنّ إلا نفسه، لأن موته كان نتيجة سوء سلوكه، ولكن لا شك عندي أن آلام زوجته وولده كانت مريرة. وكلما أفكر الآن في هذه القصة، أبكي بدموع سخينة.

١٢ – رسالة من زميل

والآن أريد أن أروي سبب سقوطي في المرة التالية، لتكون عبرة لغيري ممن يخرجون من السجن ويتعرضون لمثل هذه التجربة: إلى يوم خروجي كنت معتزماً أن أصلح حالي، ولكن سلِّم لي وأنا أغادر السجن أربع أو خمس رسائل كان قد أرسلها

إليّ زميل سابق ولم تسلّم إليَّ ساعة وصولها. كانت نيتي أن أعود تواً إلى بيتي، ولكن بعد قراءة هذه الرسائل، آثرت أن أزور هذا الصديق أولاً. وكانت هذه الزيارة علة سقوطي. وطبعاً أرى الآن أن العلة الحقيقية هي ضعف إرادتي، ولكن لا أستطيع أن أنكر أن تلك الرسائل قادتني إلى اتخاذ الخطوة الأولى.

ولو أن هذه الرسائل أعدمت ولم تسلّم إليَّ لذهبت تواً إلى البيت وابتعدت عن طرق الغواية. وإذا كان خطراً أن يقرأ السجين رسالة من زميله وهو في السجن، فإنه أشد خطراً أن تسلّم إليه هذه الرسائل وهو خارج من السجن. وأقول هذا، لا من قبيل التذمر والشكوى، بل لوضع مثل هذه المسائل تحت بصر أولي الأمر.

ذهبت إلى طوكيو لزيارة هذا الصديق، وتحدثنا عن الأيام التي قضيناها في السجن معاً، وعن الحوادث التي وقعت بعد ذلك. وأخبرني عن زميل آخر فرأيت أن أزوره أيضاً، ثم بعد ذلك أعود إلى بيتي في «نجويا».

وكان هذا الزميل – واسمه «سيجوتشي» – معي في نفس الورشة بسجن شيبا. ذهبت فوجدته يدير محلاً لغسل الملابس وكيّها، وكان معه في البيت زوجة وطفل واثنان من المستخدمين. وأخذنا نتحدث عن الأيام الماضية. ولما سألني عن مستقبلي قلت له إني معتزم العودة إلى بيتي والابتعاد عن مسالك الشر. فأظهر رضاءه واغتباطه، ولكنه رجاني أن أبيت

الليلة عنده، وأنطلق في الصباح، فقبلت. وفي تلك الليلة تناولنا الخمر معاً وقال لي هذا الزميل: «ما دمت قد اعتزمت العدول عن طرق الشر، فسواء إن بقيت هنا في طوكيو أم ذهبت إلى بلدتك. وخير لك أن تبقى هنا، وثق إني سأكون لك عوناً في كل شيء».

فاقتنعت بسهولة، وفي أقل من أسبوع عثر لي على دار استأجرتها بمبلغ ستة ين في الشهر، واستأجرت حانوتاً صغيراً لبيع الفطائر، وكان هذا في أواخر أكتوبر من سنة ١٩١٤. وكان كسبي من هذا العمل يتراوح في اليوم بين سبعة وعشرة قروش. وكنت ألتقي في هذه الأثناء بزميلي القديم «سيجوتشي» ونتعاطى الخمر معاً، ونتحدث عن الذكريات القديمة، وسرعان ما شرعنا في تدبير الخطط لجرائم أخرى. على أنني لم أرضَ أن نرتكب الجرائم داخل حدود المدينة لكيلا نخلق المتاعب لزوجة «سيجوتشي» وطفله.

١٣ – سرقة نقودي

ويوماً ما سُرقت نقودي. وفي ثورة من ثورات الغضب بعت حانوتي الصغير وقررت مغادرة طوكيو والعودة إلى موطني في «نجويا». وحين أفكر الآن فيما حدث أرى حماقتي في أن أستشيط غضباً إذ يسرق أحدهم نقودي، وذلك لأني أنا نفسي كنت أسرق الآخرين. وكان يجب أن أقدّر شعور الآخرين

نحوي. وصارحت «سيجوتشي» بعزمي على الرحيل فقال لي: «ما دمت تريد الرحيل، فلا يقدر أن يعوقك أحد. ولكن إذا وضعت يدك على شيء ما في الريف فارسله إليّ. فقط أرجوك ألا تخبر زوجتي شيئاً» وقد قبلت ظاهرياً، لأني نويت في داخلي أن أكفّ عن السرقة بعد عودتي إلى بيتي.

بلغت «نجويا» في الثالث أو الرابع من شهر فبراير من سنة ١٩١٥ وذهبت تواً إلى حيث كنت أسكن، ولكن وجدت كل شيء قد تغير، ولم أجد أثراً لزوجتي. فقضيت تلك الليلة في فندق، وفي المساء زرت هيكل الأسرة، وبعد ذلك تعاطيت الخمر، وفي حالة سكر أنفقت نصف ما لديّ من المال، لأني سكرت بمادة كان يسمونها بحق «ماء المجاذيب». وإني أشمئز الآن حين أفكر في رجل بلغ الأربعين من العمر – مثلي – ينفق ماله في السكر والعربدة كما كنت أفعل.

١٤ – العثور على زوجتي

وفي اليوم التالي عرفت أين تسكن زوجتي، ولكن وجدتها قد تزوجت من رجل آخر. وكانت قد انقطعت عنها أخباري مدة إحدى عشرة سنة، فظنت أني قد متُّ أو أني قد هجرتها، فتزوجت قبل خروجي من السجن بثلاث سنوات. فلما رأتني دهشت كل الدهشة، وروت لي كل الحوادث التي وقعت في غيبتي وخاصة عن موت أمي. ولم يكن زوجها موجوداً في

البيت عند زيارتي لها، وكان مقرراً أن يبيت الليلة خارج منزله، فألحت عليّ أن أبقى معها تلك الليلة، لكنني أبيت ولم أرد أن أخلق لها متاعب أخرى، أو أعكر صفو زواجها الجديد. وهي الآن في عصمة رجل آخر، ولم تعد زوجة لي بعد أن هجرتها إحدى عشرة سنة. وبعد موت أمي وهجر زوجتي لم يبقَ لي أحد في العالم يعطف عليّ أو يفكر فيّ.

وقد آمنت وأنا في السجن بإله يدعى «كومبيرا ساما»، فاعتزمت أن أقوم برحلة إلى «شيكوكو» لأعبد في المعبد هناك. وترى ما الذي حملني على الذهاب هناك؟ هل استحوذت عليّ بعض الخرافات؟ ومع ذلك فقد ارتكبت كل أنواع الجرائم في طريق رحلتي. وإني لأدهش. كيف يرضى الإله الحقيقي عن عبادة تقدّم إليه في مثل هذه الظروف!

١٥ – الذهاب إلى المعبد

في طريقي قلّ لديّ المال وبدأت أحتاج. وهنا تذكرت أن زميلي «سيجوتشي» أخبرني عن صديق يسكن في «أوساكا» فانطلقت إلى هناك، ووجدت الرجل يسكن في فندق.

بقيت هناك حوالي أسبوع، فنضب كل مالي، لذلك عدلت عن الذهاب إلى معبد «كومبيرا». وكنت ضعيف الإرادة، فراحت الأفكار الرديئة تفرخ في عقلي مرة أخرى، وتذكرت أن

زميلي «سيجوتشي» كان قد قال لي أن أبعث إليه بما قد يقع بين يديّ من مسروقات في رحلتي. فحصلت على بعض المواد وأرسلتها بالسكة الحديد إلى طوكيو بعنوان «تسلّم عند الطلب». ولم أرسلها إلى بيته خشية أن تستكشف السرقة ويتعقب البوليس المسروقات، فتقع زوجته في اضطرابات ومتاعب. عدت مرة أخرى إلى أساليبي القديمة، وأرسلت كل شيء سرقته إلى طوكيو.

وسرعان ما بلغت أوساكا حتى ارتكبت جريمة سرقة بالإكراه. ولما كان متعذراً عليّ أن أعلل وجود المال بين يديّ دون أن يكون لي عمل أتكسب منه، ابتعت بعض الحلويات وجلت بها متظاهراً أني بائع حلويات متجول. ثم انطلقت من أوساكا، وفي طريقي أودعت قليلاً من المال هنا وهناك في صناديق توفير البريد، وحملت الدفتر معي لكي أبعد الشبهات عني، لأن الدفتر يشهد لي أني رجل أمين أعمل وأقتصد.

تسكعت من مكان إلى آخر حتى بلغت أخيراً «أوكاياما» حيث ارتكبت سرقتين، ولكن هناك انقضّت عليّ دينونة السماء، فقد أصبت في قدميّ واضطررت إلى الراحة أياماً. ثم عاودت المسير وذهبت إلى «أماجي» وسكنت في بيت لا يسكنه إلا الشحاذون القذرون. على أن هذا لم يكن يعنيني، ولكن لما ذهبت إلى الحمام العام في المدينة رفض صاحبه الإذن لي بالدخول بسبب سكناي في ذلك البيت. فأدى بي هذا إلى

مشاجرة مع الرجل وزوجته كان من نتيجتها إلقاء القبض عليَّ وسوقي إلى مركز البوليس. وأحسست أن لزام علي قبل كل شيء أن أبعد الشبهة عني، فأبرزت دفتر التوفير للبوليس وانطلت عليهم هذه الحيلة، وأطلق سراحي.

وهنا يجب عليّ أن أكشف الأفكار التي دارت في مخيلتي وقتئذ: فإنه مع نجاحي في الإفلات من قبضة البوليس، حقدت حقداً شديداً على صاحب الحمام وزوجته لمنعهما إياي من الدخول على الرغم من استعدادي لدفع الأجرة، وعاهدت نفسي على أن أعود يوماً وأقتل أفراد هذه الأسرة كلهم. والآن أرتجف حين أفكر في هذا العزم الأثيم على قتل أسرة برمتها لسبب تافه أغاظني.

بعد هذا ركبت سفينة بخارية حملتني إلى معبد «كومبيرا» الذي كنت أريد زيارته من قبل. وبعد أداء فرائض العبادة في المعبد عدت إلى «أوساكا» حيث ارتكبت سلسلة من الجرائم، ثم بعت الأثاث القليل الذي كنت وضعته في حانوت الحلوى واعتزمت الرجوع إلى طوكيو لرؤية الزميل «سيجوتشي». وفي طريقي وقعت في أيدي مخبر سري، وأخذ في التحقيق معي، فأبرزت له دفتر صندوق التوفير، فأطلق سراحي في غير عناء. ومرة أخرى قبض عليّ البوليس، فأفلت من يده بهذه الطريقة عينها. وأدَّى بي المطاف أخيراً إلى مدينة «كوانا». وفي تلك الليلة هبّت زوبعة عاتية، فأتاحت لي الفرصة للسطو

والنهب والسلب. وحوالي منتصف الليل تسللت خفية، ولكن أدركت حالاً أن شخصاً يتعقبني، وبغتة سمعت صوتاً عالياً يصيح: قف! قف! ولكنني هربت ولم أعبأ بالصوت، وارتكبت الجريمة التي دبّرتها، وفي الصباح ركبت القطار إلى «نجويا». وكان هذا في اليوم العشرين من شهر إبريل سنة ١٩١٥.

وفي اليوم الثالث والعشرين رجعت إلى طوكيو، فألفيت «سيجوتشي» في كرب عظيم، لأنه قامر وخسر كل شيء حتى الأشياء التي أرسلتها له مما نهبت وسلبت، ووقع في الدين، ولم يجد ما يسدّ به رمق أسرته. ولم يرضَ أن يعترف لي بأنه خسر كل شيء في القمار، وقال لي إنه لم يوفق في عمله. وقد عرفت أنه أضاع ماله في القمار، ولكني تظاهرت بأني مصدّقه. وفي يوم ما قال لي: «يا صاح، أنا متضايق جداً من الوجهة المالية، أفلا نستطيع عمل شيء نفرّج به على أنفسنا؟». فوعدته أن أفعل ما في وسعي لمعونته.

١٦ – قتيل أوهارو

في اليوم التاسع والعشرين من شهر إبريل ذهبت إلى يوكاهاما بطريق السيارات آملاً أن أسلب شيئاً ما هناك. على أنه لسبب ما لا أدريه لم أقدم على شيء، ورحت أتسكع في المدينة بضعة أيام، ثم قفلت راجعاً سيراً على الأقدام بمحاذاة السكة الحديد، وفي الساعة العاشرة مساء بلغت أحد أحياء

مدينة طوكيو، وجلست أستريح أمام أحد مشارب الشاي وكان مقفلاً في تلك الليلة. وفي تلك اللحظة لمحت من بعيد فتاة في الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين من العمر تسير بمفردها، وانتابتني فجأة شهوة جامحة شريرة قوية، وتلفتّ حولي، ولما لم أجد أحداً، هجمت عليها وأمسكتها. فصرخت الفتاة صرخة عالية: قاتل! قاتل! – ولكي أكتم صوتها، نزعت المنشفة المعلقة في منطقتي، ولففتها حول رقبتها وضغطت عليها ضغطاً شديداً حتى انقطعت أنفاسها. ثم نظرت إلى طرف أكمام ثوبها، فوجدت كيساً يحوي ستة وثلاثين يناً وكتاباً صغيراً، فأخذتهما وهربت. وحينما أفكر الآن في هذه المأساة، أدرك بشاعة الشهوة!

وماذا عساني أن أقول عن نفسي؟ فإنه بسبب هربي لصقت التهمة بعشيق تلك الفتاة الذي قيل إنه قتلها في ثورة من ثورات الغيرة! ولهذا أحسب نفسي أشقى مخلوق عاش على الأرض. حينما أفكر في النفس القديمة التي اقترفت هذه الجريمة الرهيبة، ترتعد فرائص نفسي الحالية جزعاً وفَرقاً، ويقف شعر رأسي أمام هذه الموبقات البشعة المرعبة. ما أشنع هذا الصنيع! وقع الذنب كله على كوموري البريء، عشيق الفتاة، الذي أودع السجن شهوراً طويلة بسبب الجريمة التي ارتكبتها أنا.

في صباح اليوم الثلاثين رجعت إلى طوكيو، إلى منزل سيجوتشي، وتسكعت بضعة أيام كأن شيئاً لم يحدث. ثم رحت

أتجول مرة أخرى، فذهبت إلى «نجويا» وارتكبت جريمة سرقة بإكراه. وقبل مغادرة البيت الذي سطوت عليه أوثقت أيدي وأرجل الناس الذين كانوا فيه وتركتهم على هذه الحال. لشدَّ ما كان قلبي قاسياً غليظاً!

وحوالي منتصف مايو رجعت إلى طوكيو، وأخذت أفكر في أني لو تسكعت طويلاً بدون عمل، يشتبه الناس في أمري، ولذلك تظاهرت بالبيع والشراء، وكنت أبيع بأقل من ثمن الجملة لكي أكتسب مودة الذين حولي.

١٧ – قتيل يوكاهاما

في الرابع عشر أو الخامس عشر من يونيه بدأت أتسكع مرة أخرى، وهذه المرة ركبت القطار إلى يوكاهاما معتزماً أن أسلب وأنهب. وفي الليلة الثامنة عشرة من الشهر دخلت منزلاً، وأوثقت الساكنين فيه، وهددت الزوجة بالقتل إن لم تخبرني عن الموضع الذي خبأت فيه المال. وهنا أخذ الرجل يصيح «حرامي! حرامي!». وقد أحسست أن هذه نهايتي لو أن الجيران خفّوا إلى نجدته. فأخذت منشفة كانت معلقة في الغرفة وربطتها حول رقبته. فلم يكن من الزوجة إلا أن استجمعت كل قواها وصاحت بأعلى صوتها: قاتل! قاتل! – وهنا تناولت حزاماً من أحزمة السيدات كان معلقاً في الغرفة، وأوقعتها على الأرض وربطت به عنقها أيضاً.....

وفي هذه الأثناء سمعت صوتاً من بيت مجاور، فخطفت ساعة الزوجة الذهبية التي كانت موضوعة على مقربة مني ووليت الأدبار. وحين أفكر اليوم في هذه الجريمة أدرك مبلغ نذالتي وخسّتي. ولو أنني كنت شريراً عادياً، لهربت بمجرد سماع صيحات الرجل، ولكنني ممعن في الشر عريق في الجريمة. وأحسب تلك المرأة البائسة قد تحطمت نفسها وهي ترى زوجها يقتل بهذه الطريقة الشنيعة أمام عينيها. وكان من حقها أن تستغيث وتستنجد، ولكنني خنقتها بسبب هذه الاستغاثة! وترى هل كان يشفى غليلها، لو أنها رأت أمام عينيها جسدي يقطع إرباً إرباً!!

وبعد ذلك سرت محاذياً السكة الحديد، ودخلت منزلاً آخر سرقت منه بعض الأشياء وأرسلتها إلى «سيجوتشي». ثم سافرت إلى بلدة أخرى وهناك أيضاً سرقت ونهبت. وبينما أنا سائر في الطريق حوالي منتصف الليل أفكر في ارتكاب جريمة أخرى، أوقفني رجل البوليس ولم يكن ثمة سبيل للإفلات منه، فسرت معه صاغراً، وانتهزت فرصة الظلام وألقيت الخنجر الذي كنت أحمله على جانب الطريق. ولما استجوبوني في مركز البوليس، أبرزت دفتر صندوق التوفير، فأطلق سراحي. ثم عدت مقتفياً الخطى إلى أن عثرت على الخنجر في الطريق، وذهبت لحال سبيلي. ولما كانت الليلة دامسة الظلام، عثرت وسقطت في جدول من الماء ينخفض أربعة عشر قدماً عن الطريق فانكسر

ضلع من أضلاعي، ولكني أخذت أسحب نفسي إلى كومة من القش في حقل مجاور، وهناك قضيت ثلاثة أيام وثلاث ليال لا أتحرك، بدون طعام أو شراب. وخيّل إليَّ أني لا بد مائت ولكن تماثلت إلى الشفاء أخيراً، على أنني قضيت مدة طويلة عاجزاً عن ارتكاب أية جريمة.

وبعد هذا أخذت طريقي إلى «هاماتسو»، وهناك استأجرت داراً رخيصة. ولقيت وأنا هناك امرأة بائسة هجرها زوجها ومعها طفل في الحادية عشرة من عمره. وكانت المرأة في ضيق شديد، باعت كل ما لديها حتى ملابسها وملابس ولدها لتفي إيجار مسكنها. ومع قسوة قلبي أحسست بألم من أجلها وأعطيتها مالاً لتسدَّ ديونها. وبقيت هناك ثلاثة أو أربعة أيام أطلعتها في خلالها على الكتاب الذي كنت عثرت عليه في أكمام الفتاة المسكينة التي قتلتها. وفي أثناء محاكمتي فيما بعد جيء بهذه المرأة لتشهد في المحكمة على أنها عاينت الكتاب معي. وهذه الشهادة التي قدمت في وقت لم يكن فيه اعترافي مصدقاً، كانت دليلاً على إثبات الجريمة ضدي. وقبل أن أغادر البلدة أعطيت هذه المرأة قدراً من المال يكفيها لفتح مغسل صغير.

وفي ذلك الحين كنت قد برئت تماماً، فعدت إلى أساليبي القديمة.

١٨ – سرقة الأسلحة لارتكاب جرائم أخرى

زرت معبد إناري، وقد وقع نظري وأنا هناك على حانوت لبيع السيوف قبالة الهيكل، فدخلت الحانوت تلك الليلة وسرقت سيفاً طوله ثلاثة أقدام وخنجراً طوله قدم واحد. وذات ليلة في أواخر شهر يوليو ذهبت إلى «تورياهاشي»، وفي الساعة الثانية صباحاً وجدت نفسي واقفاً أمام حانوت لبيع الفحم، أتفرس في المكان لعلّي أستطيع التسلل إلى داخله. وبغتة سمعت صوتاً عالياً يصيح «حرامي! حرامي!» وحاولت شرذمة من رجال البوليس إلقاء القبض عليّ. فسللت السيف دفاعاً عن نفسي، وبعد معركة دامت خمس عشرة دقيقة جرحت أحد رجال البوليس جرحاً بليغاً، وهربت وفيّ جرح بسيط. وقد أدركت أن المكان محاصر بقوة من البوليس، فاتخذت طريقي نحو نهر عرضه مائة وثمانين قدماً، فعبرته سباحة بعد أن خلعت ملابسي ورفعتها فوق رأسي لكي لا تبتل، ونجوت بنفسي سالماً.

وماذا عساني أن أقول الآن عن هذه النفس الأثيمة. عرفت أن أفعالي هذه تكدس أكواماً من الألم والضيق للغير، ومع ذلك لم أرعوِ، وتماديت في الشر. أهذه بلادة حسّ أم هي قسوة قلب؟ إن الألفاظ تعجز عن أن تصف مخلوقاً جامحاً مثلي!

وبعد ذلك اتخذت طريقي إلى جبل قريب وأخفيت خنجري، ثم عدت في رابعة النهار للبحث عنه، فاصطدمت فجأة برجلين

يدل مظهرهما على أنهما من المخبرين، فسألاني عن سبب قدومي إلى هنا، فأجبت بدون لجلجة: «إني أشتغل في معرض الوحوش في نجويا، وقد هرب صقر إهمالاً مني، فجئت لأبحث عنه هنا». فاقتنعا بهذه الإجابة وتركاني وشأني.

وفي مساء ذلك اليوم، حوالي الساعة التاسعة، عدت إلى الجبل لأبحث عن الخنجر، وبغتة هجم عليَّ ثلاثة أو أربعة رجال، وصاحوا بصوت عال: «نريد أن نقول لك شيئاً». وكاد هذا الهجوم المفاجئ يكتم أنفاسي، على أنني تذرعت بالشجاعة، وسللت سكيناً كانت معي ورحت أعارك بوحشية، فجرحت أحدهم وفررت قبل أن تجيء النجدة من المكان المجاور. ثم اندفعت نحو نهر وعبرته سباحة، وأخذت أركض نحو خمسة أميال في الظلام، وفي الفجر وصلت إلى مكان يقال له «كورومو» ومن هناك أخذت القطار إلى «نجويا» التي كانت تبعد خمسة عشر ميلاً.

وكان بين الركاب أحد رجال بوليس كورومو، ذاهباً إلى نجويا في مهمة رسمية، وقد سمعته يتحدث مع زميل راكب عن الجريمة التي ارتكبتها في «تواياهاشي» فتظاهرت بعدم الاهتمام، على أنني قد خفت خوفاً عظيماً، وأحسست بطول هذه الرحلة. ولا غرابة في ذلك فالإنسان العادي يشعر بالقلق وعدم الاطمئنان وهو مسافر مع أحد رجال البوليس في عربة واحدة، فما بالك بمجرم يتسمع الحديث عن جرائمه.

١٩ – الهرب من أوساكا

بلغنا «نجويا» حوالي المساء، وبقيت حتى الصباح، ثم انطلقت لأرتكب جرائم أخرى. وبينما كنت مجتازاً قبالة باب الهيكل لمحت أربعة أو خمسة من الشحاذين جالسين يتحدثون معاً. ولم يكن في نيتي أن أصغي إلى حديثهم، على أن حب الاستطلاع دفعني إلى ذلك، فأنصت وإذا بهم يتحدثون عن الجرائم التي ارتكبتها، وكيف خفي أمرها على البوليس. وجلست معهم أستفهم عرضاً عن بعض الأشياء، فقيل لي إن عدة سرقات قد ارتكبت منذ ثلاثة أيام، وإن اثنين من رجال البوليس أصيبا بجروح خطيرة، وإن السارق قد هرب، ويقال إنه مختبئ الآن في «نجويا» والبوليس جاد في البحث عنه، حتى أنه كثيراً ما أقلق راحة هؤلاء الشحاذين ظناً منه أن السارق قد يكون واحداً منهم.

بعد هذا ثبت لي أنه من الخطر أن أبقى في «نجويا» وخاصة لأن ليس لي عمل ظاهر أعتاش منه، فانطلقت هارباً إلى جهة الغرب، إلى أوساكا، حيث مكثت عشرة أيام. وهناك تذكرت الإهانة التي لحقت بي من صاحب الحمام وزوجته، وكان المكان قريباً فاعتزمت أن أذهب إليهما لأنتقم لنفسي. ما أسود قلبي!!

وهنا أريد أن أشرح كيف عرف البوليس أمر الخنجر الذي

خبأته في الجبل، فتربص لي: عثر فلاح من القرى المجاورة على الخنجر مخبئاً بين قش الأرز، فأبلغ عنه البوليس فوراً، فسارع ووضع كميناً من رجاله حول المكان.

والآن لنعد إلى القصة: غادرت أوساكا إلى كوبا، وهناك حلَّ بي مرة أخرى قضاء السماء، إذ أصبت في عينيّ وكدت أفقد البصر، ولذلك اضطررت مرغماً أن أمتنع عن الأذى. على أنني مع ذلك كنت أفكر في طريقة ما للانتقام من صاحب الحمام، فسرت حتى بلغت مكاناً يدعى «أكاشي» وهناك ساءت حالة عينيّ إلى حد لم أستطع معه السير، ولم ينفع لي علاج، فاعتزمت العودة إلى طوكيو، وأرسلت خطاباً إلى «سيجوتشي» لكي يبعث لي بعض النقود، وفي نهاية أكتوبر عدت بالقطار إلى طوكيو.

وكانت حالة «سيجوتشي» قد بلغت حداً من الشقاء لا يطاق، وكان قد بدد كل الأشياء التي نهبتها وأرسلتها له، بل باع ملابس زوجته وأطفاله. وكانت عيناي ما فتئتا مريضتين، فلم أستطع أن أخرج وأسرق شيئاً له، لذلك اضطررت أن أبيع ما لدي من الثياب وأعين الأسرة بالمال. ثم دخلت في مستشفى خيري للعلاج، وما أن حلَّ أول نوفمبر حتى كنت قد عوفيت تماماً.

٢٠ – الجريمة الأولى في طوكيو

وفي يوم ما جاءني «سيجوتشو» وتوسل إليَّ أن ننهب بعض الأشياء ليتمكن من القيام بأود أسرته. وكانت عيناي ما زالتا كليلتين، ولم أرد أن أرتكب شيئاً في طوكيو خشية أن تحيق النتائج السيئة بزوجة سيجوتشو وأطفاله الأبرياء. ولم أكن قد ارتكبت أية جريمة في طوكيو من قبل.

فاتفقت على أن أعين «سيجوتشي» بشرط أن يكون نشاطنا خارج مدينة طوكيو، لكنه أكد لي أن ليس ثمة خطر البتة. وما كان في وسعي أن أخرج إلى الريف منفرداً لضعف نظري، فارتضيت أن أعمل داخل المدينة بعد أن شهدت شقاء الأسرة وبؤسها. وبهذا العمل كومت أحزاناً وآلاماً على رأس هذه الأسرة الشقية. وإن قلبي لينفطر الآن حين أذكر هذه الأمور كلها.

وفي ليلة ذهبت مع سيجوتشي إلى أحد أحياء المدينة وحاولت التسلل إلى منزل، فاستيقظ الخادم وأخذ يرجمني حتى اضطررت إلى الهرب فغضبت وعزمت على أن أعود يوماً ما وأحرق المنزل كله. وحينما أفكر الآن في هذا الأمر أراني غراً أحمق، فإن ذلك الخادم الأمين لم يقم إلا بواجبه نحو سيده، وكان حريصاً على صيانة ممتلكاته، ومع ذلك قد حقدت عليه ورغبت في إيذائه.

٢١ – الاعتراف بجريمة القتل في أوهارو

وبعد هذا لم يكن مأموناً أن يعود أحدنا إلى بيت «سيجوتشي». وفي الثامن من شهر ديسمبر اعتزمنا أن نرحل معاً إلى الريف. ولكن أدركنا غضب السماء. في تلك الليلة داهمنا ونحن في طريقنا إلى مسكننا خمسة من رجال البوليس، وألقوا القبض علينا وساقونا إلى مركز البوليس، وكان القبض علينا بسبب الاشتباه في جريمة السطو التي حاولناها ليلة البارحة، ولكن لعدم توفر الأدلة فكرت في أنه قد يكون هيناً تضليل رجال البوليس والإفلات كما فعلت في الماضي غير مرة.

وضعت في خلية في مركز البوليس مع سبعة أو ثمانية كانوا يتحدثون فيما بينهم عن بعض جرائم القتل التي حدثت حول طوكيو. وقالوا إن هذا القاتل أو ذاك قد ألقي القبض عليه، وذكروا بينهم «كوموري» الذي حوكم من أجل قتل الفتاة في أوهارو. فلما سمعت هذا قلت لنفسي:

«كيف يحاكمون كوموري من أجل هذه الجريمة وأنا فاعلها». ولم أكد أصدق أذني، ولكن علمت بعدئذ أن الرجال عرفوا الوقائع كلها، وعرفوا أن رجلاً بريئاً حوكم من أجل جريمة أوهارو.

بدأت أفكر. حينما كان يلقى القبض عليّ وأحاكم من أجل جرائمي، كانت نفسي تمتلئ حقداً وكراهية لرجال البوليس

والمخبرين والقضاة ووكلاء النيابة، وكنت دائماً أظهر عدم الرضى بالأحكام التي كانت تصدر ضدي، هذا على الرغم من أني المرتكب الحقيقي لهذه الجرائم. وكل مجرم يشعر هذا الشعور عينه. فليت شعري ماذا يكون شعور كوموري البريء وهو يزج في السجن شهوراً ويُتهم بجريمة لم يرتكبها؟ وما شأن أسرته وأقاربه؟ لا أستطيع أن أعبر بالألفاظ ولا بأية وسيلة أخرى عن الآلام التي لا بد أنهم يعانونها. إن الإنسان لا يموت إلا ميتة واحدة، لذلك قررت أن أعترف بجرمي وأنقذ كوموري البريء.

بعد ثلاثة أو أربعة أيام اعترفت بجريمة القتل. ولكن وأنا بعد في مركز البوليس، وضع معي في الخلية عينها رجل من «أوكازاكي» فسألته عن الأحداث التي جرت هناك، فقال لي إن جريمة سرقة وقعت في «تورياهاشي» قتل فيها أحد رجال البوليس، وكذلك وقعت مشاجرة بين لص وبين بوليس آخر في الوقت عينه، وقتل رجل بوليس آخر وفر اللص. وما كنت أدري قبل الآن أني قتلت رجلي البوليس وظننت أني أصبتهما بجروح فقط. لذلك قررت أن أعترف بجرائمي كلها جملة واحدة، وفعلاً اعترفت في الحال بكل شيء.

نقلت من مركز البوليس إلى السجن، حيث أكتب هذه القصة في الثلاثين من شهر ديسمبر من سنة ١٩١٥– وكلما أنظر إلى الوراء، أدرك أن كل ما جرى كان بتدبير من الله. يومئذ ما

عرفت شيئاً عن قلب الله، وأما الآن فإني أؤمن أن الله قد مسَّ أعماق قلبي.

٢٢ – ذكريات وتأملات

إلى هنا رسمت صورة تخطيطية لحياتي، من طفولتي إلى نهاية الفترة الإجرامية. ولكن أريد أن أرجع هنا إلى الوراء لأقص شيئاً عن الحياة التي عشتها قبل أن أزج في سجن شيبا في سنة ١٩٠٤ – إن الجرائم التي اكتشفت لم تكن إلا بعض حوادث السلب والنهب التي ارتكبتها فعلاً، وعندئذ حسبت نفسي محظوظاً أن أفلت من بين براثن القانون. وحينما أفكر الآن في هذه الحوادث أحسب نفسي أشرّ الخطاة، فمنذ أن بلغت التاسعة عشرة نظرت إلى ممتلكات الآخرين ومقتنياتهم كأنها ملك لي، ونهبت متاعهم – لا مرة ولا مرتين، بل مرات لا حصر لها.

ولقد عانيت في بعض الأحيان شقاء لا يوصف وعناء منقطع النظير. فمرة طاردني المخبرون فهربت إلى الجبال حيث اختبأت ثمانية أيام لم أذق فيها طعاماً، ولم أشرب إلا الماء. وفي زمهرير الشتاء قضيت الليالي الثلجية في العراء أنتفض من البرد كالطائر المبلل، وفي ليالي الصيف القائظة كادت تأكلني أسراب البعوض. عانيت صنوفاً من الحرمان والمتاعب القاسية. وإذ أفكر الآن لا أرى شيئاً عقيماً مثل الجريمة. ولو أنفقت النشاط الذي أنفقت، وعانيت الأتعاب التي عانيت، في

سبيل العيش الشريف. لأفلحت ونفعت. يا لضيعة تلك الآلام التي قاسيتها من أجل الجريمة!! ولم أعان هذا كله وحدي، بل قد سببت آلاماً للغير، وفي النهاية لم يبق شيء أستطيع أن أقول إنه لي. ولا أمتلك اليوم شيئاً سوى أعمالي الشريرة وجرائمي الشنيعة، وهذه لاصقة بي لا تنفصم عني.

وهنا أريد أن أقول إن رجلي البوليس اللذين جرحتهما في «توهاشي» و«أوكازاكي» لم يموتا.

٢٣ – بعد الموت؟

والآن أرجو أن تسمح لي أن أقصَّ كيف آمنت من أعماق قلبي بتعاليم يسوع المسيح وأنا في السجن، وسأروي قصتي كما حدثت تماماً دون إخفاء أو تزويق. والذين يقرأون القصة من أهل العلم والعقل والفطنة قد يرون في قصتي أشياء كثيرة غير منسجمة ولا متناسقة، ولكن أرجو هؤلاء أن يتسامحوا معي، ويعطفوا على جهود إنسان غير مثقف يرغب في أن يعلن مكنونات قلبه دون اصطناع أو تكلف:

في أواخر شهر ديسمبر من سنة ١٩١٥ نقلت من مركز البوليس إلى سجن طوكيو، ولكي أكفر عن خطاياي اعترفت بكل شيء، وأحسست أن نهاية حياتي قد دنت. ويوماً بعد يوم جلست وحدي في خليّتي لا أكلم أحداً ولا أعمل شيئاً. وفي

ذات ليلة بعد أن هجع كل الناس وهدأت الحركة في السجن، استيقظت ورحت أفكر في الذنوب والآثام التي اقترفتها. وقد أيقنت أني لا بد مائت بعد اعترافي، ولكن ترى ماذا يحدث لي لو أنني مت كما أنا؟ وإلى أين أذهب؟ وهل لي نفس، أم أنا جسد فانٍ لا غير؟ لست أدري. فإن كانت لي نفس، فلا بد أن تنحدر إلى هاوية الجحيم. حقاً أن مستقبلي مظلم، وقد ضاقت بي نفسي كلما فكرت في هذا كله. في أيام قوتي وبأسي، وحينما عُنيت فقط بالشهوة والمال، لم تخطر على بالي هذه الأفكار، أما الآن وشبح الموت يحملق في وجهي، فقد برّح بي ألم لا أطيقه. وأني أؤكد أني أقول الحق خالصاً لا كذب فيه.

٢٤ – هدية عيد رأس السنة في السجن

انتهت سنة ١٩١٥ وحلَّ رأس السنة الجديدة، وفي الصباح باكراً قُدِّم إليَّ طعام رأس السنة، بدلاً من جراية السجن العادية. وقيل لي أن سيدتين تدعى إحداهما مس وست والأخرى مس مكدونالد، قد أرسلتاه إليَّ. ترى من تكونان هاتان السيدتان؟ لم أسمع بهما من قبل، وتمنعت أن أقبل هدايا من أناس لا أعرفهم. ولكن حارس السجن أخبرني أن السيدتين مرسلتان مسيحيتان، وقد بعثتا بهذا الطعام مسوقتين بعامل الشفقة والعطف، وليس ما يمنع من قبول هذه الهدية. وحين أفكر الآن، أفهم كيف يقلب قلب المجرم الأشياء! ولا يمكن وصف هذا القلب باللفظ

أو المثل. لما كنت في العالم سلبت الناس أشياءهم دون تفكير أو ندم ولكن الآن حين يقدّم لي شيء مجاناً أرفضه! ما سرُّ هذا الانقلاب الأحمق!

أرسل إليَّ الطعام في الثلاثة أيام الأولى من السنة الجديدة، وبعد ذلك بأيام أرسل إليَّ العهد الجديد (الإنجيل) وثلاثة كتب مسيحية أخرى من المصدر عينه، ولكن وضعتها على الرف ولم ألقِ إليها نظرة.

٢٥ – زيارة مس وست

وفي ذات يوم زارتني سيدة تدعى مس وست وتحدثت إليَّ عن يسوع المسيح. ولما كنت في العالم، ما كنت أصغي إلى أي حديث عن ديني، وطبيعي أني رفضت أن أسمع شيئاً عن المسيحية. على أنني شكرتها من أجل الزيارة، وكنت متأدباً لطيفاً. وقد تكررت هذه الزيارة فيما بعد.

٢٦ – المؤثرات الأولى

وفي يوم أحسست بالملل من جراء الكسل، ورغبة في قتل الوقت فقط، تناولت الانجيل من فوق الرف، وألقيت نظرة غير جدية، على بدايته وفي وسطه. وأخذت أقلّب الصفحات، ولفت نظري هذه الكلمات:

«وَحِينَ تَمَّتِ ٱلأَيَّامُ لارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلاً، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهاً نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: «يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضاً؟» فَٱلْتَفَتَ وَٱنْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ٱبْنَ ٱلإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ ٱلنَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ». فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى» (لوقا ٩: ٥١-٥٦).

ثم وضعت الكتاب جانباً، وقلت في نفسي إن هذه أقوال إنسان أراد أن يعلّم البشر طريق الفضيلة. ولم أتأثر بغير هذا. وبعدئذ تناولت الكتاب وقرأت هذه الكلمات: –

«وَكَانَ جَمِيعُ ٱلْعَشَّارِينَ وَٱلْخُطَاةِ يَدْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ. فَتَذَمَّرَ ٱلْفَرِّيسِيُّونَ وَٱلْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: «هٰذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ». فَكَلَّمَهُمْ بِهٰذَا ٱلْمَثَلِ: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَأَضَاعَ وَاحِداً مِنْهَا، أَلاَ يَتْرُكُ ٱلتِّسْعَةَ وَٱلتِّسْعِينَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ، وَيَذْهَبَ لأَجْلِ ٱلضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحاً، وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو ٱلأَصْدِقَاءَ وَٱلْجِيرَانَ قَائِلاً لَهُمْ: ٱفْرَحُوا مَعِي، لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي ٱلضَّالَّ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هٰكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي ٱلسَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارّاً لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (لوقا ١٥: ١-٧).

ومع هذا لم أؤمن بما قرأت. وقلت هذه كلمات قد يرددها

أي مبشر. ووضعت الإنجيل على الرف وأهملت القراءة فيه زمناً. وبعد أيام أحسست بالملل من الكسل مرة أخرى، فتناولت الكتاب وأخذت أقرأ. وفي هذه المرة قرأت قصة دفع المسيح إلى أيدي بيلاطس، ومحاكمته ظلماً وعدواناً، وقتله صلباً.

وهنا بدأت أفكر. إن هذا الإنسان الذي يسمونه يسوع قد جاهد كي يقود الآخرين إلى طريق الفضيلة، ومن القسوة أن يُصلب لمجرد أن آراءه تخالف آراء القوم الآخرين. وحتى أنا المجرم القاسي، أحسست أنه من العار أن يعامله أعداؤه هذه المعاملة الشائنة.

٢٧ – «يا أبتاه اغفر لهم»

قرأت، فأخذت بهذه الكلمات: **«فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»** (لوقا ٢٣: ٣٤). فوقفت وكأن طعنة نجلاء قد غارت إلى صدري. ترى ما معنى هذا؟ أهو محبة قلب المسيح؟ أم هو عطفه وإشفاقه؟ لست أدري. والذي أعلمه يقيناً أني آمنت بقلب شاكر وأخذتني هذه العبارة البسيطة إلى قلب المسيحية.

وهذا ما فكرت فيه: أعتقد أن أعدى أعداء الإنسان هو الذي يطلب نفسه ليزهقها. ليس عدو أعظم من هذا. وفي الوقت الذي كانت تنتزع نفس يسوع منه، صلّى من أجل أعدائه

لإلـه السماء: «**يَـا أَبَتَـاهُ، ٱغْفِرْ لَهُـمْ، لأَنَّهُـمْ لاَ يَعْلَمُـونَ مَـاذَا يَفْعَلُـونَ**». ومن يكون هذا غير ابن الله؟ إن الإنسان العادي تمتلئ نفسه غضباً وكراهية وحقداً لأتفه الأشياء. أما يسوع فقد صلّى من أجل أعدائه في الوقت الذي كانت تؤخذ حياته منه – تلك الحياة التي لم يكن لها مثيل. أكان هذا ممكناً للإنسان العادي؟ لا أظن ذلك. إذاً لا مناص من القول إنه هو الله.

ويقول رجال الدين والرعاة والذين يشاهدون الناس يموتون، إن الكلمات الأخيرة التي يتفوه بها الإنسان، تخرج من أعماق قلبه. وهو لا يموت والأكاذيب على شفتيه. وقد كانت كلمات يسوع الأخيرة: «**يَـا أَبَتَـاهُ، ٱغْفِرْ لَهُـمْ، لأَنَّهُـمْ لاَ يَعْلَمُـونَ مَـاذَا يَفْعَلُـونَ**»، ولذلك لا يسعني إلا أن أؤمن بأنها تكشف سرّ قلبه.

٢٨ – هدايا السجن

والآن أريد أن أتحدث عن الأفضال الإلهية التي منحتها في السجن بعد أن آمنت بالمسيح. نلت أولاً ذلك الخلاص الأبدي الذي لا يفنى، خلاص العنصر الأهم في الإنسان وهو النفس، كما هو مكتوب: «**مَـنْ يَسْـمَعُ كَلاَمِـي وَيُؤْمِـنُ بِالَّـذِي أَرْسَـلَنِي فَلَـهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّـةٌ، وَلاَ يَأْتِـي إِلَـى دَيْنُونَـةٍ، بَلْ قَـدِ ٱنْتَقَلَ مِـنَ ٱلْمَوْتِ إِلَـى ٱلْحَيَاةِ**» (يوحنا ٥: ٢٤) وأيضاً: «**مَنْ يُقْبِلْ إِلَـيَّ لاَ أُخْرِجْـهُ خَارِجاً**» (يوحنا ٦: ٣٧).

وإذا نحن آمنا بصدق هذه الكلمات، نوقن أن الله لم يتخلّ عنا بل قد خلّص نفوسنا خلاصاً أبدياً.

ولم أعرف أن للإنسان نفساً إلا وأنا في السجن. وذلك لأنه كان قد زرع في فناء السجن الأقحوان لتسرَّ أعين الناظرين. وفي ميعاد الأزهار تبسم بألوان جميلة، ولكن في الشتاء يقتلها الصقيع والبرد. وعيوننا الخارجية تحدثنا بأن الأزهار قد ماتت، ولكن الحقيقة غير ذلك، فإنه في موسم الأزهار تعود البراعم إلى الظهور وتتفتح الأزهار مرة أخرى. ولا يسعني إلا أن أؤمن بأن الله الذي لا يسمح بموت هذه الأزهار، قد خلق في الإنسان نفساً تعيش إلى الأبد.

ثم فضل آخر أضفاه عليّ الله: لما كنت حراً كنت أتنقل شرقاً وغرباً في العالم، ورأيت وسمعت أشياء كثيرة، وجزت اختبارات متنوعة. واليوم أنا جالس في خابية السجن محروماً من الحرية، ومع ذلك فأنا أكثر رضى وأوفر غبطة من أيام الحرية. في السجن حيث لا يتوفر لي إلا الطعام الجاف الفقير، يفيض قلبي بالشكر أكثر مما كنت في العالم يوم تلذذت بكل ما اشتهت نفسي. في خابية السجن التي لا تزيد عن تسعة أقدام طولاً وستة أقدام عرضاً، أشعر بسعادة أوفر مما لو كنت في أكبر القصور التي شهدتها عيناي في العالم. أستطيع الآن التغلب على كل ألم في نفسي، ومهما تكن الأتعاب التي أعانيها، فإن قلبي يفيض بهجة وسروراً. ولكل يوم فرحته. كل هذه الأشياء

يرجع الفضل فيها إلى نعمة يسوع المسيح وبركته الإلهية.

والآن أتحدث عن أكبر الأفضال جميعاً – قوة يسوع المسيح التي لا يمكن استقصاؤها. مذ بلغت التاسعة عشرة، قضيت في السجن أكثر من عشرين عاماً، وعانيت في تلك السنوات كل صنوف الألم، كما ذقت أيضاً بعض اللذات. جزت كل أنواع الاختبارات، وأعطيت لي فرص كثيرة للتوبة عن ذنوبي. على أنني لم أتب بل أوغلت في الشر والقسوة. ثم بعد ذلك تجدد قلبي القاسي بقوة كلمة يسوع: **«يَا أَبَتَاهُ، ٱغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»** وتبت عن كل جرائمي. ولا يمكن أن تكون مثل هذه القوة في الإنسان.

٢٩ – الصلب

وهنا أذكر بعض الأفكار التي دارت بمخيلتي عن الصلب. وحتى في اليابان يُروى عن رجل يدعى «سوجورا ساكورا» عانى الصلب من أجل الآخرين. ويقال إنه بذل حياته لإنقاذ إقليم صغير من ولاية شيبا، وقد شهدت الرواية تمثل في أحد المسارح، فأشفقت عليه وأنا ذو القلب القاسي، وشعرت أن صلبه مأساة قامت على الظلم والقسوة. وقد أقام أهل شيبا هيكلاً له وجعلوه إلهاً.

وكلما أفكر في هذه القصة اليوم، أقول لنفسي: إن كان مثل

هذا الإنسان يعبد اليوم كإله لأنه بذل حياته من أجل فريق من الناس في جماعة صغيرة، فكم بالأولى يجب أن يُعبد المسيح الذي بذل نفسه عن العالم كله؟ وحين أقول هذا لا أخفض من شأن سيجورا ساكورا، فهو قد بذل حياته كبطل وكان بلا شك أنبل من الرجل العادي، ولكن لست أظن أن تضحيته كانت عملاً إلهياً. فهو قد بذل نفسه لينقذ أجساد الناس، ولكنه لم يقدر على تخليص أرواحهم.

وقد شهدت الرواية تمثل على المسرح، فرأيت سيجورا عند صلبه يلتفت إلى قاتليه، وهم حرس سيد الإقطاعية الذي أمر بصلبه وقال لهم: «وإن كان جسدي سيموت، فإني سأبقى نقمة عليكم». ومات وهذه الكلمات على شفتيه. وقيل بعدئذ إن روحه طاردت سيد الإقطاعية ورجال حرسه، ونغصت عليهم عيشهم باستمرار. وهذه الروح من خصائص الطبيعة البشرية.

أما يسوع فقد جاء ليخلص أنفس الناس وأجسادهم أيضاً. حُكم على سوجورا بعقوبة الموت لأنه اعتدى على قانون عصره ولكنه ترك وراءه لعنة. أما يسوع فلم يتعدّ على قانون، ولكن جسده المعصوم عن الخطية صلب بسبب كراهية أعدائه. وأؤمن أيضاً أن يسوع فهم مقدماً أن موته سيكون فدية عن الخطاة لكي يخلصوا. لذلك لم يكن في قلبه حقد حتى عند صلبه. وترك وراءه كلمات العطف والإشفاق ومات بقلب هادئ مطمئن. وإذا كان اليابانيون قد جعلوا من سوجورا إلهاً، فلماذا

لا يؤمنون بيسوع المسيح الذي مات بقلب محب عطوف. هذا يبدو لي أمراً غريباً.

٣٠ – محاكمة أوهارو

استغرقت محاكمتي عن جريمة أوهارو أياماً وشهوراً طويلة، وقد حكم ببرائتي في المحكمة الأولى بسبب خطإ. فأحسست بالضيق الخانق بسبب هذا فترة من الزمن، لأني عرفت أن براءتي معناها توقيع عقوبة الجريمة على الشخص البريء كوموري. وسبّب لي هذا الفكر كثيراً من الأرق والألم.

وعند ذاك كنت قد آمنت بالله، فقلت في نفسي إن القضية لن يُفصل فيها بقوة الإنسان، لذلك ينبغي أن أصلي ليل نهار حتى يفصل فيها بقوة الله. ولم يكن المحامي في محكمة الدرجة الأولى مرضياً. فانتهزت فرصة استئناف النيابة للقضية أمام محكمة الاستئناف واستبدلته بمحام آخر يدعى «سوزوكي» وكان رجلاً طيب القلب شديد العطف. وكنت قد علمت أيضاً أن المس مكدونالد والمس وست كانتا تصليان من أجلي، وآمنت أن الله لا بد يستخدم صلواتهما للتأثير في قلب القاضي. وقد حدث فعلاً أن أصابني في محكمة الاستئناف حكم الله الديان العادل. وكان هذا من فضل الله وقوته.

٣١ – كهنة السجن

وبينما كانت إجراءات المحاكمة سائرة في طريقها في طوكيو، أرسلت إلى يوكاهاما لمحاكمتي عن جريمة القتل التي ارتكبتها هناك. وقبل أن تجيء مس مكدونالد لزيارتي هناك، طلبني اثنان من كهنة السجن وسألاني عن محل ميلادي والطائفة الدينية التي أنتمي إليها، فقلت لهما أن والديّ كانا ينتميان إلى طائفة من طوائف البوذية.

فسألني أحدهما: «وبالطبع أنت تنتمي إلى هذه الطائفة عينها».

أجبته: «لا. فإني أؤمن بالمسيحية».

فقال: «قل لي، لماذا ملت إلى عبادة إله المسيحيين؟».

فأجبته: «لبواعث شريفة مخلصة».

فقال الكاهن: «ولكن المسيحية ليست إلا مجموعة من الآداب. أما بوذا فيقبلك بالمحبة والرحمة، وأعتقد أنه أجدر بشكرك من المسيح».

فقلت له: «قد يكون ما تقوله حقاً. ولكنه حق أيضاً أن في المسيح محبة ورحمة. قد يكون ما تقوله حقاً، ولكن لو أنني اختبرت المحبة والعطف اللذين تقول عنهما إنهما في قلب بوذا، لما ارتكبت من الجرائم ما ارتكبت. أما وقد اختبرت

المحبة والرحمة في يسوع، لذلك آمنت به».

وضحك الكاهنان وانتهى الحديث دون أن يقولا شيئاً. وحين أفكر في هذا الحديث، أذكر المثل القائل: «جرّ النار إلى قرصك» وقد كان هذا موقفهما تماماً.

وبعد ذلك دُعيت مرة أخرى إلى مكتب رئيس الكهنة وسئلت عن محل ميلادي وديني، فأجبت كما أجبت من قبل بأني مسيحي. فسألني الكاهن: «وهل قلبك تجدد بالمسيحية»؟ ولما أجبته بالإيجاب قال لي: «إذاً يكون دينك موضع الإعجاب. فليس شيء أفضل من الدين الذي يجدد القلب ويغيره». وعندي أن مثل هذا الكاهن جدير بالاحترام والتبجيل.

٣٢ – رؤيا رهيبة

وكلمة عن رهبة الخطية: أثناء النهار كنت مشغولاً بالتفكير في أشياء كثيرة وأنا جالس في خابية السجن. فإذا جنّ الليل وهجع الناس حولي، كنت أفكر دائماً في الجرائم الشنيعة التي ارتكبتها. كان هذا قبل أن أؤمن بالمسيح.

وفي ذات ليلة ظهر فجأة بجانب وسادتي أحد ضحاياي، بوجه يعلوه اصفرار شديد، وناداني باسمي، وأخذ يضربني على وجهي. فارتعبت وارتعدت، ولكن لما فتحت عينيّ وجدتني في حلم. وكان الظهور واضحاً جداً أمام عينيَّ، وحتى بعد أن

استيقظت كان الرعب مستولياً عليّ، ولم أذق طعم النوم تلك الليلة. يا له من اختبار رهيب! ولكن بعد أن آمنت بالمسيح لم يحدث لي شيء من هذا، وإن يكن حتى اليوم يقشعر بدني ويقف شعر رأسي حينما أفكر في الأمر.

وفي ليلة أخرى بعد أن نام جميع من حولي سمعت بغتة أنة رهيبة من خابية مجاورة، وقد تكررت الأنات عدة مرات أثناء الليل، وكان الأنين رهيباً أليماً. وقد ظللت أسمع هذه الأنات عدة ليال، وعلمت أخيراً أن الرجل الذي كان يئن كان قاتلاً مثلي، وأن روح ضحيته كان يرعبه ويرهبه. والأرجح أنه لم يتب عن خطاياه، لذلك كانت تعذبه أرواح ضحاياه. ولا بد أنه كان يتألم ليلاً ونهاراً، كما كنت أتألم أنا قبل إيماني بالمسيح. ولو أنه آمن بالله كما فعلت، لخلص من أتعابه وضيقاته. وقد تألمت لأن أحداً لم يسعفه كما أسعفت أنا.

٣٣ – الفوارق بين الناس

يُقال إنه كما يختلف الناس في وجوههم، كذلك يختلفون في قلوبهم، وقد أدركت مؤخراً عظم هذا الفارق بين الناس.

في الثامن من شهر إبريل من سنة ١٩١٨، حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، كنت جالساً في خابيتي أقرأ، وإذا باثنين من الموظفين يقفان بالباب، أحدهما كان ضابط السجن، ولكن

الآخر لم أكن أعرفه، فأحنيت رأسي احتراماً عند دخولهما، وقد قيل إن الموظف الغريب هو المدير أريما حاكم سجن كوسوج. وراح هذا الموظف الكبير يحدثني قائلاً: «يا سيد إيشي، قد سمعت أنك آمنت بالمسيح، وأنك قد خلصت بالمسيح». فقلت له في غير تردد: «إني آمنت بمحبة المسيح ورحمته». فقال «إن قوة المسيح العجيبة لم تكن مقتصرة على الماضي، ولكنها قوة فعّالة حتى اليوم، وفي هذه الخابية. إن التجديد الذي أحدثه المسيح في قلبك من أعظم المعجزات التي حدثت في عالم البشر». وأخذ يحدثني بطريقة أفهمها، وعندما همّ بالذهاب نزع قفازه من يده، وأمسك بيدي، وودعني بأرق الألفاظ وأعذبها. وقد تأثرت تأثراً عميقاً فلم أتمالك عن ذرف الدموع. وفي تلك الليلة لم أذق طعم النوم من فرط التأثر. هذا هو الفارق بين الرجال. فها أنذا أبدو كإنسان عادي في المظهر، ولكنني في الداخل كوحش ضار. وأمامي السيد أريما، رجل كبير المقام والرتبة، ينزع قفازه ويصافح رجلاً مهملاً، ومجرماً منبوذاً مثلي، إظهاراً لرقة نفسه وعطف قلبه. يا له من فارق!!

ومرة صافحني محامي في يوكاهاما – ويدعى فوجيتي – حين ودَّعني، وأظهر لي هذا العطف عينه أحد محاميّ في طوكيو – ويدعى سوزوكي – وقد أبديا لي هذا العطف بطرق مختلفة، فقاما بالدفاع عني بدون مقابل، وأرسلا لي غير مرة طعاماً خاصاً في السجن، فلن أنسى فضلهما ميتاً كنت أو حياً.

وما أعظم الفارق بين قلب الإنسان الطيب وبين قلبي أنا. بل ما أعظم الفارق بيني وبين الإنسان الذي يجاهد لإدخال الغبطة إلى قلوب الآخرين! إن البعد بينهما عظيم كالبعد بين المشرق والمغرب، وبين الأرض والسماء.

وكلما أفكر الآن في هذا كله أراني أسوأ من وحش ضار. فإن القط والكلب يؤديان بعض النفع للإنسان، وحيوان الغابة المفترس ينفع بعد موته باستخدام فرائه ولحمه على الأقل. أما أنا فلم أنفع أحداً وحسب، بل قد آذيت كثيرين شرّ الأذية. وسواء كنت حياً أو ميتاً لا نفع مني مطلقاً. ولا أشبِّه نفسي إلا بجرثومة من جراثيم السل، فقد كنت وباءً يفتك بالناس، وإني لأخجل بأن أظهر وجهي للناس، وكم وددت لو يتاح لي جحر في الأرض أتسلل إليه وأختبئ فيه. على أنني حين أدرك أن العناية الإلهية قد مدّت في حياتي حتى اليوم وأتاحت لي الفرصة لقبول محبة الله ونعمته، لا أشعر بشيء غير الغبطة والفرح. ومهما يحدث لي في المستقبل، فلا أرغب إلا صنع مشيئة يسوع المسيح.

٣٤ – ترنيمتي

كلمة أخيرة وقد اقتربت نهاية الحياة: في الوقت الذي غمرت الظلمة فيه نفسي بسبب جرائمي، وأوشكت أهوال الجحيم تدركني، عرفت يسوع المسيح بفضل إرشاد الصديقتين اللتين

ذكرت اسميهما من قبل، وبذلك دخلت مدينة الله حيث لا تهلك النفس، وغمرني فرح لا يوصف. ولن أنسى قط هذا الإرشاد الذي أحيا نفسي، فإليهما شكري الفيّاض.

والكلمات التالية تملأ قلبي، وتصف حياتي، بحيث أراني مضطراً أن أثبتها هنا بنصها:

كما أنا آتي إلى — فادي الورى مستعجلاً
إذ قلت نحوي أقبلا — يا حمل الله الوديع
يا رب إني مجرم — فليغسلن قلبي الدم
إني إليك أقدم — يا حمل الله الوديع
كما أنا لأنني — ذو فاقة لا تنسني
آتي إليك يا غني — يا حمل الله الوديع
كما أنا مستعطياً — أعمى أذل الأشقيا
إليك أدنو مخطياً — يا حمل الله الوديع
أنت الذي تشفي العليل — أنت الذي تروي الغليل
عني أزل حملي الثقيل — يا حمل الله الوديع
كما أنا لا بر لي — أدنو من الفادي العلي
عن طلبتي لا تغفل — يا حمل الله الوديع

وهنا قصيدة من تأليفه، وضعها في اللغة اليابانية بحيث

يبدأ المقطع الأول من كل سطر بحرف من الحروف اليابانية الهجائية على التوالي، ويبلغ عددها ثمانية وعشرين حرفاً. وإلى القارئ ترجمتها العربية نثراً:

أخيراً وبعد لأيٍ استعلنت لي ذنوبي وآثامي
وأنا هنا قعيد خابية السجن الظلماء
فاستفاض قلبي حزناً وألماً
وأخذت نفسي تتلوى من الألم ولا مجير
فصرخت في ضيقتي: هل يوجد إله؟
ولكن لا سميع ولا مجيب
فغصت في حمأة من الألم الممض القاسي

* * *

وعاجلاً ستدركني الدينونة العادلة
لأن ذنوبي وآثامي رهيبة بشعة
ليس كمثلها شيء
وها أنذا أقبل القضاء المحتوم
ولكن حين تدنو ساعة الفراق
سأترك كل شيء ورائي

وليس لي في العالم الآخر
ما يهدئ هذه النفس القلقة الحائرة

* * *

لا يمر بي يوم أنسى فيه كرب نفسي
في النوم أو في اليقظة
تتلمس يدي النجاة
فلا تعثر على شيء
حتى كدت أجنُّ

* * *

ليس لحياتي معنى
ومخاوفي تزداد على الأيام
وذنوبي أمامي دائماً
فماذا عسى أن يفعل بي العالم الآخر؟
إن جسدي ليتمزق
وكربي وآلامي تتفاقم على الأيام
ونفسي مريضة وقلبي موجع
فهل من يمسح لي ذنوبي وآثامي

وإن كان هناك إله يشفق ويعطف
فإني أصرخ إليه في ضيقي وكربي
«اسمع اللهم طلبة نفسي وخذني إلى المدينة السماوية
حيث لا تهلك نفسي
وألقى هناك أبي وأمي»!

* * *

ثم أشرق عليّ نور الفرح والبهجة
«لا تخف فهوذا المسيح هنا
سترى أباك وأمك
وستكون معهما
في مدينة الله
لن تموت
ولكنك ستحيا في المجد
وتبتهج نفسك مدى الأيام
وستذوق اللذات
التي يتمناها قلبك
اللذات التي ليست من هذا العالم».

واليوم قد دخلت المدينة

وإن يكن اسمي قد تدنس

وجسدي يموت في السجن

فإن نفسي قد طهرت وتزكت

وتعود اليوم إلى مدينة الله

كتبت هذه القصيدة في السجن لأشرح كيف أغرقت آلامي ومخاوفي في المسيح وأنقذت بمحبته. وإني أرجو القارئ أن يتساهل فيما قد يجده بها من أخطاء.

يوميات

بعد أن سجل «إيشي» اعترافاته، قضى في السجن أياماً قبل تنفيذ الإعدام فيه. وقد كتب في خلالها يوميات عن بعض المؤثرات التي غالبت نفسه، والوقائع التي حدثت له.

١ – الشكر من أجل المرض

٢٦ مايو ١٩١٨ – منذ الصباح أصابتني حمى عالية وأشكو ألماً مبرحاً. وقد أظهر لي الحارس القائم على تمريضي عطفاً، وما أظن أنه كان يفعل بي أكثر من هذا لو أنني كنت ولده. وهذه هي المرة الأولى التي أصبت فيها بمرض من هذا النوع.

٢٧ مايو – أصابتني حمى وقشعريرة. وزادت حالي سوءاً. وقد جاءت لزيارتي مس مكدونالد ولكن لسوء الحظ كانت الحرارة مرتفعة فلم أستطع مقابلتها، مع أنني كنت شديد الرغبة في سماع تعاليمها. ولعل ضعف إيماني هو الذي حال بيني وبين التغلب على مرضي، ولذلك حُرمت زيارة مس مكدونالد. ولست أشك في أن هذ تأنيب من الله ويجب أن أتعلم كيف أخافه وأكرمه أكثر. وفعلاً قد قربني هذا المرض نحو الله، وأني شاكر فضله عليّ ولطفه بي.

٢ – عطف سجان

٢٨ مايو – في هذا الصباح جاءني يسأل عني وأنا طريح الفراش – حارس يُدعى «واكانا». وكان قد قام على حراستي من قبل نحو سنتين ونقل الآن إلى عمل آخر. وكان هذا السجان يعطف عليّ دائماً، وجاء اليوم خصيصاً لزيارتي بعد أن سمع أني مريض. وبعد الظهر فتح وكيل السجن باب خليتي وسأل عن حالتي.

وفي خلال الليل لم أنم لحظة بسبب المرض، وقد أغمضت عينيّ ولكن بقيت نفسي مستيقظة واعية لكل شيء. وفي الساعة الثانية صباحاً أدخل الحارس الليلي يده من ثقب الباب وجس رأسي ليرى إن كنت لا أزال محموماً. وبدون أن يوقظني – كما زعم – كان يريد أن يعرف إن كانت الحمى قد خفت وطأتها. وقد تأثرت جداً بهذا الاهتمام بي.

٢٩ مايو – عاد وكيل السجن للمرة الثانية ليسأل عني بكلمات العطف والإشفاق. وكان يزورني يومياً كثيرون من الموظفين للاستفهام عن حالتي، كما أ ن الحارس كان دائم السؤال عني. كذلك اهتم بأمري رئيس السجانين. وزارني وكيل السجن ثلاث مرات في أسبوع واحد. ولست أقدر أن أعبر عن مبلغ تأثري بدلائل العطف هذه. ولا أنسى رئيس الكهنة (البوذي) الذي كان يزورني بغير انقطاع مع علمه بأني مسيحي. وإني

شاكر له عطفه عليّ وعنايته بي، على أنه مهما يكن من أمر فإني لا أؤمن بأحد غير المسيح.

٣ – المراحم

لما كنت مريضاً لم أتمالك عن التفكير فيمن كانوا يفتقدونني لو أنني كنت مريضاً خارج السجن، وأحسست بشعور عميق مَلك عليّ نفسي وملأ قلبي شكراً تفجرت دموعي إذ يلقى مجرم – من أحط المجرمين مثلي – هذا العطف الذي ألقاه الآن في السجن، والذي حُرمته وأنا حر طليق في العالم. ولو كان هذا في الزمن القديم، ترى ماذا كان يحل بي؟ أغلب الظن كنت أتعرض لأنظار الغادين والرائحين وكانت تقطع رأسي أو أصلب أو أموت بطريقة قاسية شنيعة. ولكن شكراً لله أن الإعدام لا يجري الآن بطريقة علنية. هذه إحدى مفاخر العصر الحديث ورحماته التي أشكر الله عليها.

أثناء مرضي جاءني محاميّ من يوكاهاما – السيد فوجيتي – ليسأل عني. وقبل محاكمتي عن جرائم يوكاهاما جاءني أربع مرات في السجن لزيارتي وقام بكل شيء في قضيتي بدون أتعاب. وحتى بعد المحاكمة جاءني مرتين، ومنذ عودتي إلى سجن طوكيو جاءني هنا أيضاً مرتين. وسأذكر هذا الفضل ما حييت. وبعد موتي لن أنساه.

٤ – عن المحامين

٢ يونيه – إني سعيد اليوم لأن الحمى فارقتني وعدت إلى الصحة واليوم زارني محاميّ في طوكيو – السيد سوزوكي – الذي تولى الدفاع عني بعد أن أحيلت قضيتي إلى محكمة الاستئناف. وقد سأل عن حالتي الصحية بعطف، وإني لأشكره جداً.

وفي العالم، ما كنت من طبقات الناس الذين يقدرون على الاختلاط والتفاهم مع إنسان مثل سوزوكي. وقد ذرفت دموع الشكر والامتنان حينما فكرت أن مثله يجيء إليّ المرة تلو الأخرى للسؤال عني والتحدث إليّ بعطف وإشفاق. ومرات كثيرة أرسل إليّ طعاماً، أحياناً مرتين في اليوم، وأخرى ثلاث مرات.

ولا شك أن في طوكيو صنوفاً من المحامين، يختلفون في المظهر الخارجي وفي النوايا الداخلية. وهم يختلفون في التصرف والسلوك حتى في القضية الواحدة. فالمحامي الذي تولى قضيتي في المحكمة الابتدائية – مثلاً – لم يجئ إلى السجن لرؤياي، لا قبل المحاكمة ولا بعدها. وأظن هذا هو التصرف العادي. فإن المحامي الذي تنتدبه المحكمة للدفاع عن متهم، لا يتناول أتعاباً عن خدماته. وحين يختفي المال، أظنه لا يعبأ إن كان البريء يُشنق أو يُطلق سراحه. هذه نظرة الإنسان العادي إلى الأمر. ولو أنني كنت في سعة وأستطيع

دفع المال، لتغير موقفه حيالي. كما يقول المثل: «حتى جهنم تخضع للمال».

أما محاميّ في الاستئناف فكان رجلاً آخر، فإن السيد سوزوكي دون أن يقيم وزناً للمال قضى سنة كاملة يدرس قضيتي، ولم يحاول فقط منع إعدام المتهم البريء، بل جاهد لإنقاذ نفسي بكشف الوقائع. ولهذا السبب كانت محاكمتي في الاستئناف عادلة، وصدر الحكم الذي كنت راغباً فيه.

ولا حاجة أن أتحدث عن الفرح الذي لا بدّ أنه شمل كوموري وأسرته بعد إعلان براءته التي كانت نتيجة لإدانتي.

وهذا كله راجع إلى عمل الله في قلب ذلك المحامي الذي امتلأ حباً وإخلاصاً. والفارق بين هذين المحاميين يظهر أثر المحبة حين تستقر في قلب الإنسان. فحيثما تختفي محبة الله من القلب، يبغض الإنسان الأشرار الأردياء. وقد كان هذا شأن محاميّ الأول. أما محبة المسيح فتملأ القلب إشفاقاً وحناناً نحو الآخرين. وذلك لأن محبة المسيح لا تهمل عن الخاطئ الأثيم، بل تحدب عليه وترثي لحاله.

٥ – دروس تعلمتها من الألم

٣ يونيه – عوفيت من مرضي تماماً. وأول شيء فعلته اليوم أن تلوت ترنيمتي المحببة «كما أنا...» ثم شكرت الله.

وقد تعلمت كثيراً في مرضي الأخير، وها أنا ذا أكتب بعض ذكرياتي: وما أظن أني لزمت الفراش من قبل أكثر من ثلاثة أيام، ولم أعرف معنى الألم الناشئ عن المرض. لذلك لم أكن أعطف على المرضى، حتى على أقرب الأقربين إليّ – زوجتي. ولما كانت تقول أحياناً أنها مصابة بوجع الرأس ولا تستطيع النهوض، كنت أعتقد أنه من السخف أن يلازم الإنسان فراشه لسبب تافه كهذا، وكنت أنزع عنها الغطاء وأرغمها على القيام. هذا فعلته مرات كثيرة. وكانت تبكي أحياناً من قسوتي، أما أنا فما كنت أشعر بشيء من العطف. وذلك لأني لم أكن قد اختبرت المرض، فلم أعرف كيف أشارك المتألمين أوجاعهم.

أما الآن فقد أدركت بفضل الله عليّ معنى الألم، وأحسب هذا المرض من مراحم الله، لهذه أشكره بملء قلبي.

٦ – عصفور يعلمني درساً

٩ يونيه – اليوم يوم الأحد، لذلك أمرنا بتنظيف غرفنا وبينما كنت أقوم بتنظيف غرفتي، سمعت من وراء النافذة تغريد عصفور صغير، فنظرت وإذا بسرب كبير من هذه العصافير قد حط على فرع شجرة، ومدت هذه الأطيار الصغيرة أعناقها كأنها تنظر إلى شيء تحتها، وكانت تزقزق عالية، فظننت في الأمر شيئاً حاولت أن أتبينه، وإذا بي أرى قطة تحت الشجرة، وقد لمحها أحد تلك العصافير فأنذر رفاقه، لكي تحذر العدو.

تأثرت بهذا، وأخجلني ذلك الطائر الصغير، فإن الأطيار تنذر بعضها بعضاً عند قرب وقوع الخطر، وتتعاون على حماية نفسها. وأنا ماذا فعلت من أجل النوع الإنساني؟

يقال إن الإنسان تاج الخليقة، ولكن ماذا فعلت أنا طيلة حياتي حتى أكون بهذا اللقب جديراً. لا شك أن لي وجه إنسان وشكل إنسان من الظاهر، ويكسوني جلد البشر، وفي الحقيقة أنا أقل شأناً من ذلك الطائر. إن هذا المخلوق يجاهد لصيانة نوعه، أما أنا فلم أفعل شيئاً غير التنكيل بنوعي. ولم أكن أعنى بآلام الآخرين، ما دمت أشبع لذاتي. كنت أنانياً إلى أبعد حد، وما فعلت شيئاً يجعلني إنساناً.

٧ – قصة عامل المنجم

١٢ يونيه – كنت أقرأ اليوم قصة في كتاب عنوانه «من الموت إلى الحياة». وقد لذ لي حتى عاودت قراءته مراراً. وقد اتفقت القصة مع اختباري حتى أراني مضطراً أن أسجلها هنا كتابة:

وخلاصة القصة أن عاملاً خشناً من عمال المناجم، وُجد على وشك الموت في كهف صغير فوق أحد الجبال. وحدث أن أحضرت له سيدة طعاماً وأخذت تحدثه عن محبة الله، فما كان منه إلا أن لعنها وسبها في وجهها. وبعد أن حاولت معه

مراراً، يئست منه وقررت عدم الاقتراب إليه. وفي تلك الليلة بينما كانت تصلي مع طفليها، أغفلت ذكر اسم ذلك العامل الذي اعتادت أن تذكره في صلواتها. فقال لها طفلها الصغير: «يا أماه هل يئست من ذلك الرجل الرديء؟ أظن أن الله لم يغفله ولم ييأس منه».

وقد حرك هذا الكلام قلب الأم، وقررت أن تحاول معه مرة أخرى. فأخذت معها صبية صغيرة، وانطلقت إلى الكهف مرة أخرى. ولما رآها أخذ الرجل يلعن ويسب كعادته. ولكن إذ سمع صوت الصبية، تذكر ابنته التي كانت قد ماتت، ودعاها للدخول إلى كهفه. وهناك جثت الصبية على ركبتيها ورفعت لله صلاة بسيطة، مست قلب ذلك العامل وحملته على الندم والتوبة.

٨ – قلب الطفل الصغير

وحينما قرأت هذه القصة راعني أن أرى روح المسيح تسكن في قلبي ذينك الطفلين. فالأم قد يئست من ذلك العامل الشرير وأغفلته، ولكن ولدها الصغير لوَّمها بقوله إن الله لم يغفل عنه. ههنا قلب الإيمان. ثم انظر إلى صلاة الصبية الصغيرة بجانب الرجل المريض: «أيها الرب يسوع، إن هذا الرجل مريض، وهو قد فقد ابنته الصغيرة، فأحزن فقدها قلبه جداً. وإني متألمة من أجله، وهو متألم أيضاً، فأعنه يا ربنا. آمين». إن الكلمات قليلة

ولكنها تعبر عن إيمان ثابت، وأشعر كأن الحادثة وقعت أمام عيني. وإيمان الطفل الصغير ملأ قلب أمه شجاعة دفعتها إلى العمل لتليين قلب الرجل الخشن، فتاب وأناب.

قال يسوع: **«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ ٱللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ»** (مرقس ١٠: ١٥). ومعنى هذا أن نقبل محبة الله بالبساطة والتصديق كما يفعل الأطفال الصغار.

وهنا أخذت أصلي: «أيها الرب يسوع، اجعل قلبي كطفل صغير بقوتك، وأعني لكي أؤمن أن لك كل القوة. آمين».

٩ – صديقتان

والآن أريد أن أقول كيف استمالت الأم ذلك العامل إلى المسيح. كان الرجل شريراً، ولكنه تاب أخيراً بتأثير تلك الأم. وكان لهذا العمل أبلغ الأثر في نفسي.

وقد كان قلبي أشر من قلب ذلك العامل. فكيف أتيح لرجل شرير مثلي أن يؤمن بمحبة المسيح، ويخلص من الهلاك بيده المقدسة؟ كما أن ذلك العامل خلصته الأم التي ذهبت لزيارته، كذلك خلصت أنا وعرفت الله بفضل صديقتين أقبلتا لزيارتي. كان الرجل في القصة مريضاً ومائتاً، ومع أنني لم أكن مصاباً بمرض جسماني، فإن أيامي كانت معدودة، ولم يكن لي مهرب من الموت. وتانك السيدتان، من فرط محبتهما لي، رفعتاني

من طريق الهلاك إلى طريق المسيح.

وكم تعبتا من أجلي! فإن المرأة في القصة قضت أسابيع مع عامل المنجم، ولكن لم تكن هذه المدة شيئاً يُذكر إذا قيست بالزمن والجهود التي بذلتها الصديقتان من أجلي. وما كنت أؤمن بدين آبائي، وما عرفت شيئاً عن المسيحية. ويقول أحد أمثالنا الدارجة: «أنت تكره ما لم تذقه». وكان هذا إحساسي نحو المسيحية. وقد ظلت السيدتان أكثر من سنتين تزورانني بالتناوب، دون أن يعيقهما ثلج الشتاء ولا حر الصيف. ولا أستطيع أن أذكر عدد المرات الكثيرة – عشرات المرات – التي حظيت فيها بزيارتهما. وكان كل قصدهما أن أُنقذ من الهلاك. وبعطف وغيرة أخذتا بيدي. وليس السجن مكاناً مستحباً، ولكنهما لم تنفكا تفتقدانني في السجن. وكما كان الحال مع عامل المنجم، تبلد إدراكي أولاً، ولكن آمنت أخيراً بفضل إرشادهما، ولن أستطيع أن أفيهما حقهما من الشكر، وإليهما يرجع الفضل في ولادتي الجديدة، فلن أنسى!

«أيها الرب يسوع المسيح، كما تبت أنا عن خطاياي أمام الله بقوة قدرتك هب أن يتوب كثيرون عن خطاياهم بفضل إرشاد تينك الصديقتين: آمين».

١٠ – متناقضات

١٦ يونية – اليوم يوم الأحد، وكنت أقرأ في الإنجيل وإذا بي أمام هذه الآيات:

«كَمُضِلّينَ وَنَحْنُ صَادِقُونَ.

كَمَجْهُولِينَ وَنَحْنُ مَعْرُوفُونَ.

كَمَائِتِينَ وَهَا نَحْنُ نَحْيَا.

كَمُؤَدَّبِينَ وَنَحْنُ غَيْرُ مَقْتُولِينَ.

كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ.

كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ.

كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ» (٢كورنثوس ٦: ٨–١٠).

ومنذ أمد غير بعيد حملت إليّ مس وست هذه الكلمات كرسالة من مس مكدونالد، وإني أجدها تتفق مع حالتي تمام الاتفاق.

مثلاً: **«كَمُضِلّينَ وَنَحْنُ صَادِقُونَ»**: هذه الكلمات تشرح محاكمتي الأولى. فإني كنت قد كشفت كل شيء للمحكمة لأنني تبت وندمت، ولكن لا المحكمة ولا المحامين صدقوني، وقالوا إن «إيشي» يحاول تضليل الناس. وكنت كمضلل،

والواقع إني قلت الحق.

«كَمَجْهُولِينَ وَنَحْنُ مَعْرُوفُونَ»: تصدق هذه الكلمات على محاكمتي الثانية، فلم أقدر أن أثبت أني ارتكبت الجريمة، ولكن اتضح أخيراً بأدلة أخرى غير اعترافي إني كنت مجرماً حقاً.

«كَمَائِتِينَ وَهَا نَحْنُ نَحْيَا»: يظن كثيرون أن «إيشي» يعاني آلاماً مبرحة في السجن وأنه بعد قليل سيُعدم. ولكن هذا غير صحيح أيضاً. فإنه لن يقدر أحد أن يقتل نفسي غير الله، ولن أموت لأنني بين يدي المسيح. لم يؤدبني أحد، وإن تكن حياتي الحاضرة تبدو ملآنة بصنوف العذاب، فإن الله لا يدعني أموت.

«كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ»: يقول الناس إن قلبي لا بد أن يكون حزيناً جداً لأني أنتظر يوم تنفيذ حكم الإعدام فيّ. وهذا ليس الحال: فإني لا أشعر بحزن ولا قلق ولا ألم. وإني في خابية السجن. التي يبلغ حجمها تسعة أقدام في ستة، لأسعد حالاً من أيام الخطية التي عشتها في العالم قبل أن أعرف الله. وإني أتحدث إلى يسوع المسيح ليل نهار بدون انقطاع.

«كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ»: وهذا بكل تأكيد لا يصدق على الحياة الشريرة التي عشتها قبل أن أتوب. ولعل أحداً من أهل العالم يسمع في المستقبل أن أشر المجرمين الذين عرفتهم الأرض قد تاب عن خطاياه وخلص بقوة المسيح، فيتوب هو أيضاً. وبذلك أستطيع وأنا الفقير المعدم أن أغني كثيرين.

«كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ»: كما يراني الناس لا أملك شيئاً. ولكن الواقع أن الله قد أعطاني فوق ما أحتاج في حياتي اليومية. قبل أن أعرف الله لم أكن أقنع بشيء، ففي أيام الشتاء التي يجب أن يرضى فيها الإنسان بأي ثياب عنده، كنت دائماً غير قانع، وكنت أطلب المزيد، بل كنت أتذمر وأشكو لزوجتي قلة الثياب وعدم كفايتها. وإني لأشعر بالخجل وأنا أعترف الآن بهذا، ولكن الواقع أن الإنسان وهو مندفع في طريق شهواته لا يعبأ بما يحدث للآخرين. وما كان يخجلني شيء، وعنيت فقط بالمظاهر الخارجية. وكان يجب أن أكتفي بخبزي اليومي ما دام يغذيني ويقويني على أنني كنت دائماً أتذمر وأشكو وأعنف زوجتي لأنها لم تجهّز لي شيئاً أفضل. وما كنت أعرف أن هذا الطعام أو ذاك يستويان بعد أن ينزلا من الحلق إلى البلعوم، وحتى حين كنت أستقر في بيت لي، كنت أحسد كل بيت آخر أراه أفضل من بيتي قليلاً. أردت الحصول على المال دون كد وتعب، فكنت أرتكب الجرائم للحصول عليه. هذا كان حالي بالأمس، أما اليوم؟ الإنسان العادي في السجن يتألم ليل نهار ويبكي في شقاء وبؤس، أما أنا فلا أشعر بشيء من التعب والعناء، ويفيض قلبي بشراً وسروراً. وكما قلت ربما يظن الناس أني لا أملك شيئاً، ولكن الواقع أني أملك كل شيء. إن الأشياء الأرضية تندثر باستعمالها، أما أنا فأملك الأشياء التي أعطانيها الله، ومهما استهلكتها، فهي لا تفنى لأنها باقية.

والذي قلته هنا لا أعني به الحياة الأرضية والموت الجسماني. إن مشكلة الحياة والموت في العالم لا تخطر لي ببال الآن. أما الذي يعنيني لهو حياة النفس وموتها.

١١ – الدراجات

١٨ يونيه – اليوم تعلمت درساً من الدراجة. لم أركب دراجة طول حياتي ولكن شهدت الناس يركضون بها في الطرقات، وأظنها نافعة جداً. وقد أدركت أنه ليس من الهين تعلم ركوبها. ولاحظت مؤخراً بعض المساجين يتعلمون ركوبها في فناء السجن كلما صفا الجو.

واليوم تعلمت أنه قبل أن يتعلم الإنسان ركوب الدراجة وسط الجماهير ليبلغ مقصده دون حادث، عليه أن يتمرن طويلاً بجدٍ ونشاط. وهكذا الحال معي، فإن عليّ أن أَبذل جهوداً مضنية قبل أن أبلغ المكان الذي أقصده.

كذلك متى اعتقد الإنسان أن في وسعه احتمال التدريب وبذل الجهد، استطاع أخيراً أن يكمل المهمة التي شرع فيها، وهو ينجح ما دام له إيمان. وهذا هو المثل الذي تعلمته: «إن الإنسان لن يبلغ مأربه إلا بعد أن يبذل الجهد جسوراً مغامراً».

ولكن حتى إن أصبنا بعض النجاح، فإن فترة هذه الحياة لا تزيد عن أربعين أو خمسين سنة، ولذلك أدركت أن الهدف

الذي يجب أن أسعى إليه هو حياة النفس الأبدية، لا حياة الأرض القصيرة فقط. وأنا موطد العزم على أن أركب الدراجة التي تقودني إلى هناك، ولا أعرف وسيلة لتحقيق هذا الغرض غير صليب المسيح، الذي يقدر كل إنسان أن يبلغ به ملكوت السماء، كما قال يسوع: **«مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً»** (يوحنا ٦: ٣٧).

وأؤمن أيضاً أننا لن نستطيع – لا بدراجة على الأرض، ولا في سبيل تقديم النفس – أن نكمل كل شيء بقفزة واحدة. فإننا إذا عدلنا عن التدريب حينما نظن أننا قد صرنا مدربين، يحدث فجأة ما ليس في الحسبان. فنسرع ونصعد، ودون أن ندري، يحدث الحادث وإذا بنا في خندق. وهكذا يحدث لنا في إيماننا بالمسيح، ومتى آمنا ينبغي ألا نظن أننا قد أدركنا كل شيء، بل يجب أن ندرب إيماننا ونروضه إلى آخر حياتنا الأرضية.

١٢ – البئر المسكونة

٢٠ يونيه – كنت أقوم اليوم برياضتي في فناء السجن وإذا بي أرى إلى جانب الطريق بئراً، فذكرتني بخرافة قديمة سمعتها منذ خمس وثلاثين سنة لما كنت طفلاً صغيراً. وهي تبين محبة الآب لولده وهاكم القصة:

في بلدتي «نجوا» وفي الشارع الذي كنت أسكن فيه مع

أبـي وأمـي، كان معبد يبعد مسيرة ميل عن منزلنـا، وكان وراء هذا المعبد بئر قديمة. وكان يقال يومئذ إن عفريتاً سكن خلف المعبد، وكانت تُسمع أنات في كل ليلة حوالي منتصف الليل، وأطلق الناس عليه «العفريت ذو الأنين». ولم تكن تجسر امرأة ولا طفل من السير بعد منتصف الليل في ذلك المكان. وقد تحدث القريبون والبعيدون عن هذا العفريت الغريب. وذهب بعضهم لاكتشاف مصدر الأنين فوجدوا أنه ينبعث من تلك البئر القديمة. وفي ذات يوم اجتمع جمهور من الناس في رابعة النهار، وأطلوا ليروا جليّة الخبر، ولكن البئر كانت عميقة ومظلمة فلم يروا قاعها. فأوقدوا مصباحاً ودلوه، فما استطاعوا أن يروا شيئاً. وكانت البئر قد أهملت منذ زمن بعيد وامتلأت بالقاذورات إلى حافة المياه، فأذاع بعض المخرفين أن إله البئر قد أهين فاستقرت عليها تلك اللعنة، واستقر رأيهم على أن يدعوا كهنة المعبد للصلاة لإزالة هذه اللعنة، وكان الناس يجتمعون كل يوم حول البئر للتشاور. ومع ذلك استمر الأنين في منتصف الليل كعادته.

وفي ذات يوم دعاني صديق من الأولاد زملائي لنذهب ونشاهد البئر المسكونة، ففعلت. وبينما كنا نطل إلى أسفل انكسر الحاجز الحديدي الذي كان يحيط بالبئر وسقط فيها الغلام صديقي الذي كان في التاسعة من عمره يومئذ. ولما بلغ الخبر أهل القرية المجاورة هاجوا وماجوا، ولكن لم يفعل أحدهم

شيئاً لإنقاذ الغلام. فأسرع أحدهم وأبلغ الخبر إلى والده، الذي جاء على عجل، ووضع سلماً طويلاً يصل إلى قاع البئر، ونزل وفي يده مصباح. وهناك وجد ولده في حالة إغماء ولكنه لم يصب بأذى كبير.

وهنا سأله الناس هل لاحظ شيئاً غير عادي في البئر، فنزل الوالد ثانية ليستوثق من الأمر. وهناك وجد قطة سوداء أقرب إلى الموت منها إلى الحياة، وكانت قد تكورت على حافة من حافات البئر. وبهذه الوسيلة كشف الرجل مصدر الخرافة السخيفة. وفي ذلك الزمن كان كل الناس في تلك المنطقة يؤمنون بالخرافات، ولا عجب أن يؤمن الناس الذين لا يعرفون الإله الواحد الحق بإله البئر وآلهة أخرى سواه. وقبل أن أحبس في هذا السجن آمنت أنا أيضاً بآلهة كثيرة، أما اليوم فإني أرى حماقة مثل هذا الاعتقاد.

وحين أستذكر هذه القصة أتأثر جدّ التأثر بمحبة الآب لابنه. فإن جمهوراً غفيراً من الناس كان واقفاً عندما سقط الغلام، ولكن أحداً لم يفعل شيئاً لإنقاذه خوفاً من العفريت. أما الآب فلم يفكر إلا في الخطر الذي وقع فيه ولده، ونزل في الظلمة وأنقذه. إن قلبي ليرقص بين أضلعي حين أفكر في الفرح الذي أحس به الوالد والولد يومئذ. وذلك لأني أشعر اليوم بهذا الفرح عينه. وكما أُنقذ ذلك الغلام من أعماق البئر بفضل محبة أبيه، كذلك أُنقذت أنا من أعماق خطاياي. ولن يستطيع

الآب الأرضي أن ينقذ ولده من الخطية مهما اشتدت رغبته في ذلك، ومهما بذل من جهد وعناء في هذه السبيل. لأن هذا لن تفعله إلا يد المسيح المحبة، وهو الذي يمنح الحياة التي لا تفنى **«لأَنَّهُ هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلأَبَدِيَّةُ»** (يوحنا ٣: ١٦). لهذا أؤمن بإمكان خلاص كل خاطئ لم يسقط بعد إلى قرارة جهنم.

١٣ – عن التوبة

٢٢ يونيه – قرأت اليوم في كتاب أن التوبة في سرير الموت لا قيمة لها مطلقاً. وقال لي أحدهم مؤخراً: «يا إيشي إن توبتك جاءت متأخرة. وكان خير لك لو أنك تبت قبل فوات الأوان». وقد أقلق هذا الكلام بالي إذ سمعته مرتين، وساورني الشك في توبتي، ومما لا شك فيه أني كنت شريراً جداً في العالم، وخلقت المتاعب لكثيرين، وعشت حياة أنانية لا خير فيها لأحد. والآن بعد أن اقترفت كل إثم ودنت النهاية، رجعت إلى الله والتمست منه أن يخلصني من خطاياي السابقة. فهل كانت هذه التوبة متأخرة؟

وبعد التفكير ملياً، عرفت أن هناك نوعين من التوبة في سرير الموت بينهما فرق كبير. وفي حالات خاصة يمكن أن تكون التوبة في سرير الموت متأخرة بعد الأوان، ولكن ينبغي

ألا تكون كذلك في كل الأحوال. فهناك من سمعوا عن محبة الله منذ الطفولة، ولكنهم لم يؤمنوا بما سمعوا ولم يطبقوه في حياتهم، وأبعدوا الله عن نطاق تفكيرهم وعاشوا لأنفسهم، وأمثال هؤلاء قد لا يصغي الله إليهم عند موتهم مهما لجوا في الدعاء.

ولكن آخرين لم يسمعوا قط عن الإله الحقيقي ولا عن محبة المسيح، فتمادوا في الخطية، لأنهم يجهلون. ولكن إذا تاب هؤلاء عندما يسمعون عن إله الرحمة والشفقة فإن الله – على ما أظن – يحمل عنهم خطاياهم ويغفر لهم حتى إن كانت توبتهم عند موتهم.

«أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هٰكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي ٱلسَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارّاً لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (لوقا ١٥: ٧). نعم إني تبت متأخراً، ولكن لم يكن في وسعي أن أتوب مطلقاً لو لم أسمع تعاليم المسيح من الصديقتين اللتين تفضلتا بزيارتي. ولولا ذلك لفقدت نفسي بلا شك وأضعت الفرصة لتخليص حياتي، مهما تكن توبتي. وإني لشاكر جداً هذا الفضل العظيم الذي قادني إلى يد المسيح الرحيمة.

ولهذا أنا مقتنع بأن الكل – كباراً وصغاراً، نساء ورجالاً – يخلصون، ما داموا يحيون وفق التعاليم التي يتلقونها، ولا أظن أن التوبة في سرير الموت تكون دائماً وحتماً بعد الأوان.

١٤ – الفرسان الأحرار السبعة والأربعون

عندما دخلت السجن انتظاراً لمحاكمتي، سألت مدير السجن أن يدبر لي عملاً، أما الآن فقد عدلت عن القيام به، لأن قضيتي فُصل فيها في الثالث من شهر أبريل، وقد تجيء النهاية غداً، وأريد أن أقضي البقية الباقية من حياتي في الاستزادة من معرفة الله والخير وطريق الحياة المستقيم. وما كنت أُعنى بهذه الأشياء لما كنت في العالم، فكنت أشبه بشيطان في جسم إنسان. ولا أنكر أني وُلدت إنساناً بشرياً، ومع أنني قد أُعدم غداً. فإني أريد أن أموت وأنا عارف الله وطريق البر والحياة المستقيمة. لهذا أقضي كل صباح في دراسة الكتاب المقدس، وبعد الظهر أقرأ الكتب الأخرى التي تصقل ذهني.

وفي أيام شري، أيام كنت مجرداً عن الإخلاص والتقوى البنوية والعدل والشفقة، كان يلذني أن أسمع الأقاصيص عن الإخلاص والتقوى البنوية والعدل من أفواه الرواة أو أشهدها على مسارح التمثيل. وهذا أمر غريب حقاً، فقد كان مفروضاً – وأنا الشرير – أن أستمتع برؤية الشر ممثلاً على المسرح، ولكن من غريب الأمر أني كرهت رؤيته. وقد قال حكيمنا: «إن الإنسان بطبيعته صالح». وقد يكون هذا حقاً، لست أدري. ومهما يكن من أمر فإني كنت أذهب لسماع هذه الأقاصيص لمجرد اللذة، لا لتحسين حالتي.

ومن الكتب التي قرأتها مؤخراً، وكان لها أثر عميق في نفسي، كتاب عنوانه: «الفرسان الاحرار السبعة والأربعون». وتدور القصة حول الإخلاص والولاء وتتلخص فيما يلي: –

حُكم على اللورد أسانو بالموت. بسبب ضغائن عدوه اللورد كيرا، فاضطر أن ينتحر، وصودرت أملاكه وقلعته. فأقسم سبعة وأربعون من أتباعه أن ينتقموا لموت مولاهم، وأن لا يروا زوجاً ولا ولداً، أباً ولا أماً، إلا بعد تنفيذ الانتقام وإحضار رأس اللورد كيرا على قبر مولاهم.

وفي هذا السبيل عانوا أمرّ صنوف الحرمان والألم، ولكنهم قاموا أخيراً بواجبهم، ثم سلموا أنفسهم للسلطات، فأخذوا إلى بعض سادة الاقطاعيات لحجزهم، وحكم عليهم أخيراً بالموت لقتلهم اللورد كيرا، ونفذ فيهم هذا الحكم.

وتقترن بهذه القصة حادثة أخرى لها علاقة بالدين. فبحسب قانون ذلك العصر كان يجوز لإنسان واحد فقط أن يلتمس من ولي الأمر العفو عنهم، وكان ذلك الإنسان كاهناً. ولكن حدث أن ذلك الكاهن لم يستخدم سلطته في طلب العفو عن أولئك المحكوم عليهم. وإلى القارئ تفاصيل القصة ثم تعليقاتي عليها:

لم يرد أحد أن يُعدم أولئك الأتباع، حتى ولي الأمر نفسه كان راغباً في إنقاذهم، وأراد كثيرون من علية القوم العفو عنهم جزاء ما أبدوا من إخلاص وولاء لمولاهم. وأُشيع أن ولي الأمر

نفسه رغب في العفو عنهم، واغتبط الشعب لهذه الإشاعة ورحب بها.

على أنه لم يكن في الإمكان الخروج على القانون، وإغفال أحكامه لمجرد هذه الإحساسات الشخصية. فحكم على الرجال بالإدانة، واضطر ولي الأمر أن يصدق على الحكم.

وكان هناك بارقة أمل واحدة: فإن كاهناً معيناً من السلالة الملكية كان من حقه أن يتوسط ويطلب العفو من ولي الأمر، وكان هو الوحيد في البلاد صاحب هذه السلطة.

وفي عيد رأس السنة قدم ذلك الكاهن الملكي إلى طوكيو لزيارة ولي الأمر، وفي سياق الحديث قال له هذا الأخير: «إنه لمن أشق الأمور حكم هذه البلاد. وقد بلغك بلا شك نبأ أتباع اللورد أسانو. وإني شخصياً أعجب بهذا الولاء المنقطع النظير. وأرغب في تخليص حياتهم، ولكن بالأسف لا بد أن تأخذ العدالة مجراها». وبهذه الطريقة أوعز ولي الأمر إلى الكاهن أن يتدخل، ولكن الكاهن أجاب: «إني أشفق عليك في متاعبك». ثم انطلق.

ولما سمعت زوجة الوالي هذا الكلام، أرسلت رسولاً إلى الكاهن تتوسل إليه أن يتوسط لإنقاذ حياة أولئك الفرسان. ولكن الكاهن تنهد قائلاً: «ما أظن أنني أحسست في حياتي بمثل هذا الألم الذي أحسست به يوم حدثني ولي الأمر عن أولئك

الرجال. وإنني لأعطف عليه أشد العطف، وأرغب ككاهن أن أخلصهم من الموت، ولكن بين هؤلاء الأربعين بعض الشبان ذوي الطباع النارية الذين لو أبقي على حياتهم الآن، قد يرتكبون في المستقبل ما يثلم شرفهم، لهذا السبب أعتقد أنه من الخير أن يتخذ القانون مجراه وفق رحمة الإله آميداً. ومن أجل الأمة ومن أجل هؤلاء الشبان أنفسهم. أراني مضطراً أن أغمض عيني وأحبس دموعي». وفعلاً اتخذ القانون مجراه، وبعد أيام نُفذ فيهم حكم الموت.

أما أنا فإني أدهش لموقف صاحبنا الكاهن، ولست أدري أين رحمة الإله آميدا. بل لست أدري كيف يدّعي هذا الكاهن أنه مشفق رحيم وقد كان في وسعه بكلمة منه أن ينقذ حياة أولئك الشبان. ولكنه أبى لمجرد احتمال بعيد خشي وقوعه في المستقبل. قد يكون هذا طريق البوذية. فإن كان هذا طريقها، فإني لا أؤمن بها وإن تكن دين أسلافي. وأستطيع أن أفهم القصة لو أن موقف كل من ولي الأمر والكاهن كان عكسياً، وأن الكاهن هو الذي تقدم بطلب العفو فرفض طلبه. أما أن يلمح ولي الأمر ويرفض الكاهن، ويزعم أنه بهذا يؤيد رحمة آميدا – فهذا ما لا أفهمه. كان فرضاً عليه أن يهيء لهم فرصة الحياة.

قد يقول بعضهم ممن لا يفهمون قلوب أولئك الأتباع، إنهم ربما كانوا يقترفون الأخطاء لو قدر لهم العيش. وأما أنا فما

أظن هذا، فحتى لو كان عفي عنهم، ما كانوا يعودون إلى أسرهم لقضاء حياتهم في اللذة واللهو، فإن نفوس المخلصين الأوفياء أبعد ما تكون عن الجبن والنذالة. وأظنهم يذهبون تواً إلى قبر مولاهم الميت، وهناك يقضون على أنفسهم بأنفسهم وينطلقون إلى العالم الآخر. وكان هذا عزمهم فيما أعتقد بعد أن أخذوا بثأر مولاهم. وتلك كانت خاتمة جديرة بالثناء! وإن عقلي الجاهل لن يقدر أن يصف عظمة هذا العمل، ولكن إذا استطعنا أن نتصور – شذا البرقوق ممتزجاً بجمال زهر الكرز – يمكن أن نكوّن فكرة عن جمال مثل هذا العمل النبيل. ولكن بالأسف أعدم أولئك الفرسان السبعة والأربعون كمجرمين.

وترى لماذا أسلموا أنفسهم للحكومة، بدلاً من أن ينتزعوا حياتهم بأيديهم، بعد أخذهم بالثأر؟ يظن البعض أنهم توقعوا تخفيف العقوبة. ما أظن أنهم كانوا جبناء إلى هذا الحد. أما السبب الحقيقي فهو لأنهم خشوا وقوع اضطراب في الدولة، فإن قتل اللورد كيرا كان انتقاماً، سيق إليه أولئك الأتباع مدفوعين بعامل الإخلاص والولاء لمولاهم، ولكنه كان أيضاً جريمة ضد قانون البلاد، فكان واجباً مفروضاً عليهم أن يقدموا أنفسهم للحكومة لتتصرف في أمرهم، وبهذا الصنيع أبدوا الروح اليابانية الجديرة بهم.

وأردت أن أبين هنا أن هناك فرقاً عظيماً بين رحمة البوذية ورحمة المسيحية. فلو كان الكاهن مسيحياً، لكان التمس من

تلقاء نفسه العفو عن أولئك الفرسان، ولما سمح بإعدامهم. وبعد هذا كان هؤلاء يتبعون مولاهم إلى العالم الآخر راضين، وبذلك يتركون وراءهم شرفاً أمجد. وما أظن أن المسيح عندما قدّم حياته عن الخطاة، خشي احتمال وقوعهم في خطأ أكبر في المستقبل البعيد.

لم يفكر في هذا، لأنه نظر إلى الجميع كأبناء له، وما كان يسمح بتسليمهم إلى الميتة القاسية أمام عينيه.

ولكن المسيح لم يعطنا الحياة الجسمانية فقط، ولكن حياة النفس الخالدة أيضاً. وحيثما توجد هذه المحبة لأبناء الإنسان تكون موضع إعجابنا وتقديرنا **«لأَنَّهُ هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلأَبَدِيَّةُ»** (يوحنا ٣: ١٦).

١٥ – المزمور الثالث والعشرون

٢٤ يونيه – جاءت مس وست لزيارتي اليوم، وقد سررت من هذه الزيارة سروراً عظيماً لأني لم أرها منذ زمن. ويوم قدمت مس مكدونالد في السابع والعشرين من مايو كنت مريضاً فلم أستطع لقاءها. وقبل أيام رجوت إحداهما أن تزورني، فجاءت مس وست تلبية لهذه الدعوة، وطلبت إليّ أن أذكر كلمات المزمور الثالث والعشرين بصفة خاصة. وتحقيقاً لهذه الرغبة،

ها أنذا أكتبها غير مكتف بتلاوتها:

«اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ. فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ ٱلرَّاحَةِ يُورِدُنِي. يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ ٱلْبِرِّ مِنْ أَجْلِ ٱسْمِهِ. أَيْضاً إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ ٱلْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرّاً، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي. تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِٱلدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رَيَّا. إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ ٱلرَّبِّ إِلَى مَدَى ٱلأَيَّامِ».

وهذه الكلمات تنطبق تماماً على اختباري وحالتي، ولذلك أكتبها شكوراً راضياً.

وقد اغتبطت لزيارة مس وست وصليت بعد ذهابها هذا الدعاء: «أيها الرب يسوع، أشكرك من أعماق قلبي لأنك استجبت لجميع صلواتي، هبني في المستقبل حينما يتهجم الأعداء على نفسي، عوناً وقوة لأغلبهم جميعاً. آمين».

١٦ – الزلازل

٢٦ يونيه – في الليلة السابقة، حوالي الساعة الحادية عشرة، حدثت زلزلة عنيفة من أشد الزلازل التي شهدتها البلاد. فاهتزت أبنية السجن هزاً عنيفاً لأنها أبنية خشبية مؤلفة من طابقين. ولقد ذكرتني بالزلزلة المخربة التي وقعت في إقليمي جيفو

وايشي سنة ١٨٩١ لما كنت في السابعة عشرة من عمري. وما عهدت قط نكبة جائحة كتلك النكبة. وهأنذا أصف ما شهدت يومئذ.

كان إلى جنوب نجوا بلدتي مصنع نسيج يعمل فيه أكثر من ألف من الرجال والنساء، يروحون ويجيئون كل يوم. ولما وقعت الزلزلة حوالي الساعة السادسة صباحاً في الوقت الذي يتبادل فيه العمال نوباتهم نجا العاملون في نوبة الليل، أما عمال نوبة النهار فهلكوا ما عدا القليل منهم الذين تأخروا عن الميعاد. وكان المشهد رهيباً فلم أستطع النظر إليه. وذلك لأن الأجساد تهشمت تحت أنقاض بناء المصنع، حتى لم يستطع أقارب القتلى تمييز ذويهم إلا بقطع الثياب التي وُجدت مبعثرة هنا وهناك بين الأنقاض.

وبعد ثلاثة أيام ذهبت إلى مدينة جيفو، فكان الخراب هناك لا يوصف، فما احتملت النظر إلى الأجساد المهشمة المحترقة، وتساقطت الأبنية كورق الشجر، واشتعلت النيران وخربت المدينة كلها تقريباً، وأمسك ألوف، فلم يقدروا على الإفلات، وماتوا حرقاً.

أما الشارع العمومي فقد انشق شطرين، وحدثت حفائر هائلة كانت تجري فيها المياه القذرة، فلم يستطع الناس العبور. واحترقت المدينة وغدت أنقاضاً ما عدا السجن وجزءاً صغيراً منه.

وعلى مقربة من نجوا قرية اسمها «كاساماتو» تهدم فيها كل شيء حتى مركز البوليس ومكتب القرية، وأمسى مكانها أرضاً منبسطة. وحاول أهلها الإفلات ولكنهم ماتوا حرقاً، وافترق الآباء عن الأبناء، والأبناء عن الآباء، وفي حالات كثيرة أبيدت أسر عن بكرة أبيها. وفي أوجاكي وقعت الزلزلة وقت عبادة الصباح في الهيكل، فسقط البناء وهلك العابدون. وأطبق جبلان على مقربة فسحقاها سحقاً، ولم يبق قائماً فيها إلا سقف المعبد.

ووقعت الخسائر كلها دفعة واحدة في اليوم الأول من حدوث الزلزلة، ولكن استمرت الهزات الخفيفة كل يوم مدة شهر كامل، وقد ارتعب أهالي نجوا، وبدلاً من العودة إلى منازلهم أقاموا لهم أكواخاً مؤقتة في الغابات المتشابكة خارج البلدة، وبقوا هناك لاجئين زمناً.

وبعد هذا الاختبار لم أكن أخشى شيئاً مثل خوفي من الزلازل، واستمر بي هذا الخوف حتى عرفت الله، وبقوته غدوت لا أخشاها ولا أرتعب منها. والواقع أن المسيحي لا يخاف شيئاً مما يحدث في الخارج مهما عظمت النكبة. والمسيحيون لا يخافون حتى من الموت ذاته، الذي يخشاه كل البشر في العالم. ولكنهم يخافون الله فقط، لا أحد سواه. هذا ما تعلمته من اختباري.

١٧ – حديث مع السجانين ورجال البوليس

وهنا أذكر زلزلة أخرى حدثت يوم كنت في سجن يوكاها. فبينما كنت جالساً أقرأ، وقعت هزة عنيفة طويلة كان لها دمدمة رهيبة. وسمعت أصوات الاضطراب والفزع في خلايا السجن المجاورة، أما أنا فكنت غارقاً في قراءاتي هادئاً، وكان حارس السجن يقوم بجولاته في أثناء الهزة، ثم وقف عند خليتي وقال: «يا ايشي هل أنت أصم؟» فأجبته: «كلا». فسألني:

– «ألم تعلم أن زلزلة تهز الأرض الآن؟».

– «نعم. أنا أعلم هذا».

– «إذاً كيف تجلس هادئاً كأن شيئاً لم يحدث؟».

– «لما كنت في العالم لم أخف من شيء أكثر من الزلزلة. ولكن بعد أن آمنت بالمسيح زال عني كل خوف، وليس مردّ هذا إلى إرادتي بل إلى قوة المسيح».

– «إذاً لا بد أن يكون في المسيحية قوة عجيبة. وكيف دخلت هذا الدين؟ هل دفعت مبلغاً من المال؟».

– «كلا، ما عليك إلا أن تؤمن من أعماق قلبك بأقوال يسوع المسيح، فتدخل آمناً مطمئناً».

– «اسمع. متى آمنت بالمسيح؟».

– «بعد دخولي السجن وقراءة الكتب التي أعطانيها صديقتان

افتقدتاني مرات كثيرة».

– «هل عرفت أولئك الناس قبل دخولك السجن؟».

– «كلا!».

– «إن طوكيو مدينة كبيرة. وقد تجد فيها أناساً يهدون كتباً لأشخاص لا يعرفونهم ولم يروهم من قبل. ولكن أؤكد لك أني لم أسمع شيئاً كهذا في يوكاهاما».

لما انتهت محاكمتي في يوكاهاما أرسلت إلى سجن طوكيو بحراسة رجال الشرطة. وبينما كنت في مركز البوليس انتظاراً للرحيل، سألني أحد الموظفين أسئلة عن المسيحية. وفيما أنا أشرح له إذا بموظف آخر يقول لي: «في العالم أديان كثيرة، ولكن يخيل إليّ أنكم أنتم الذين تؤمنون بالمسيحية لا تعبأون شيئاً بما يحل بكم». فأجبته على الفور: «إن المسيحي لا يستهين بحياته، ولا ينفقها بطيش. ولكن يجب أن تذكر إني إنسان محكوم عليه بالموت لجرائم ارتكبتها ضد القانون، وحياتي ليست ملكاً لي. ولا حق لي أن أشكو حتى لو انتُزعت حياتي اليوم. على أنني لا أخشى الموت لأن نفسي لن تهلك. وهذا لا يصدق عليّ فقط، بل على كل المسيحيين الحقيقيين، فهم لا يخافون المرض ولا الضنك ولا الألم، بل يسلمون كل شيء بين يدي الله. وحتى في ألمهم يفرحون وينتظرون صابرين حتى يظفروا بالسلامة. أما غير المسيحيين فيضطربون لأتفه الأشياء

ويلجأون سراعاً إلى الطبيب أو الدواء أو أدعية الهيكل. فإذا جاء الطبيب شكوا في تشخيصه المرض واستحضروا غيره، وهكذا يفزعون ويهلعون، وبعد أن يبرأوا يبالغون في الألم الذي عانوه. وفي العالم كثيرون من أمثال هؤلاء. أما قوة المسيح فتظهر في كل صنوف الناس، فعندما كان بولس ذاهباً إلى رومية، هبت زوبعة عنيفة وهو على ظهر السفينة، وراحت الأمواج تعصف بالسفينة كريشة في مهبّ الريح أسابيع كثيرة، وقد ضاع صواب الركاب كلهم وفقدوا شجاعتهم وأمسوا كأموات، ما عدا بولس الذي لم يخف لأن المسيح كان معه. وحين أقول لك إن المسيحيين لا يخافون شيئاً غير الله، لا أدعي باطلاً، بل أقول الحق، فها هي كلمات المسيح ذاته: **«لاَ تَخَافُوا مِنَ ٱلَّذِينَ يَقْتُلُونَ ٱلْجَسَدَ وَلٰكِنَّ ٱلنَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِٱلْحَرِيِّ مِنَ ٱلَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ ٱلنَّفْسَ وَٱلْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ»** (متّى ١٠: ٢٨).

وفيما أنا أتكلم قال أحد رجال البوليس وكان واقفاً بجانبي: «قد يكون هذا حقاً. إذاً تكون تعاليم المسيح هدى للطريق المستقيم».

وقد قضيت في مركز البوليس حوالي ساعة ونصف التف فيها حولي عدد غفير من رجال البوليس والمخبرين ينصتون إلى كلامي.

٣ يوليه – جاءني اليوم السيد سوزوكي محامي وسأل عني

باهتمام وقد أهداني ورقاً للكتابة وبعض الطعام. وقد أردت أن أكتب له رسالة شكر، ولكنني لم أستطع أن أعبر عن شعوري تعبيراً صحيحاً. فبدلاً من أن يشعر باشمئزاز وأنفة حيال إنسان لا قيمة له مثلي، كان يجيء إليّ المرة بعد المرة حاملاً معه طعاماً لي. وإني لا أستطيع أن أعرب له عن واجب الشكر، وإن عجز لساني عن ذلك، فحسبي أن أسكب دموع الامتنان له والشكر لله.

١٨ – حمام السجن

٤ يوليه – بينما كنت في الحمام اليوم، أدركت بطريقة جديدة كيف نستمتع برحمة الله ومحبته. ففي هذا السجن تسهيلات كثيرة لاستحمام المسجونين مرتين في الأسبوع. فالماء البارد وفير في حنفيات كثيرة، والماء الساخن يجيء أيضاً في مواسير (أنابيب) متصلة بغلايات بخارية. والبخار هناك في كل وقت، ولكن الماء لا يسخن إلا بفتح الصمامة وتسليط البخار على الماء.

وعندي أن هذا يشبه تماماً الطريقة التي يعمل بها خلاص الله في نفوسنا. فبواسطة بخار محبة الله تسخن قلوبنا الباردة التي لا تحب، ولكن علينا أن نسلط حرارة محبة الله أولاً على هذه القلوب، ومهما وفرت محبة الله، فإننا نبقى باردين إذا أغلقنا صمامات القلب.

١٩ – حول القضاة

٧ يوليه – اليوم وأنا أقرأ في الفصل الثالث والعشرين من إنجيل لوقا عن محاكمة يسوع وموته، بدأت أفكر في القضاة، وشكرت الله على ما هيأ لي من بركات. فلما كنت في العالم أعيش حياة أنانية شريرة، كنت أحسب القضاة ورجال النيابة والبوليس وحراس السجن من ألد أعدائي. هذا هو شعور كل مرتكبي الجرائم. في تلك الأيام لم أكن أفطن إلى مقدار الضرر الذي أوقعته بالآخرين، بل ما فطنت إلى أني كنت أفعل خطأ، وكنت أخاف فقط من أن يُقبض عليّ. أبغضت رجال النيابة الذين اتهموني، والقضاة الذين أدانوني، ورجال السجن الذي روضوني، مع أني كنت أعتدي على القانون دائماً. هذا هو طريق المجرمين. ولكن بعد أن رجعت عن خطاياي، وتبت عن ذنوبي وآمنت بتعاليم المسيح، غدا أعدائي أحباء لي، وكان مرد هذا إلى تجديد قلبي، لأن القضاة والسجانين لم يطرأ عليهم تغيير وكانوا كما كانوا. هذا هو الفارق بين الإيمان بالمسيح وبين عدم الإيمان به. إن يسوع لم يبغض أعداءه، ولا يجوز لأتباعه أن يبغضوا أحداً من الناس.

والدليل على تغيير قلبي وإحساسي حيال من كنت أحسبهم أعداء لي الحادثة التالية:

لم يُسمع قط أن وكيلاً للنيابة يلح على القاضي ليصدر حكم

الإعدام على مجرم – يتنازل ويزور المحكوم عليه في السجن. ولكن هذا هو ما حدث في قضيتي، فإن السيد أوهيرا النائب العام في دور الاستئناف جاء لزيارتي. ولو لم يكن واثقاً من أن قلبي لا يكنُّ له حقداً ولا بغضاً، لما فعل هذا. وهذا على ما أظن دليل صريح على أن قلبي قد تغيّر كلياً، حيال الذين كان من الطبيعي أن أبغضهم وأحقد عليهم.

٢٠ – ذكريات

٨ يوليه – اليوم تذكرت بعض ما كان صالحاً وبعض ما كان شريراً في حياتي السابقة، وههنا أدون ذكرياتي: بدأت في طرقي المعوجة منذ ثمانية وعشرين عاماً، وإن أنسَ لا أنسَ بعض الجرائم الأولى التي ارتكبتها وما سببت للغير من عناء وتعب. وحين أذكر هذه الأشياء كلها تضيق أنفاسي. على أنني لم أهمل بعض الأعمال الصغرى التي أبديت فيها عطفي وحناني، وهذه مصدر عزائي حين أذكرها.

وعند التفكير في الحياة التي يحياها الناس معاً في هذا العالم، والأعمال المختلفة التي يقومون بها، يخيل إليّ أن أسعد إحساس يغتبط له المرء هو استمالة الأشرار إلى التوبة وإرشادهم إلى مدينة الله المقدسة. كذلك يكون فرح التائب عظيماً. فإن هدايتي بفضل إرشاد الصديقتين لأعظم عندي من مال كثير، لأن المال يفنى باستعماله، ونفعه محدود بهذا العالم، ولا قيمة

لـه مطلقاً بعد إذ تنفصل النفس عن الجسد.

أمـا عطايـا الله فليست كذلك. وهـي لا تنقص بالاستعمال، بل تزيد كلما استهلكناها. ونفعها ليس قاصراً على هذا العالم، بل تنفع إلى ما لا نهاية. ما أعظمها وما أعجبها! إن العطايا التي وهبنيها الله أقدر أن أستعملها دائماً في أي زمان وفي أي مكان. ونحن الآن في فصل الصيف والنهار طويل، ولا شك أن المسجونين الآخرين يضجرون من الساعات الطويلة المملة ويتأففون من شدة الحر، أما أنا فمهما طال بي اليوم أراني مغبوطاً راضياً أطلب المزيد من الوقت ولا أضجر من الحرارة. هذا كله من فضل ربي ونعماه، واليوم جاء مرة أخرى وكيل السجن لزيارتي، والسؤال عني. وإني لشاكر هذا التعطف، ولكم أريد أن أعبر عما يختلج في نفسي، أجدني عاجزاً لا يسعفني الكلام، بل تلصق الألفاظ في حلقي، فأكتفي بدموع الشكر وهي تنطق بأفصح بيان، والواقع أني لا أقدر أن أكتب عُشر ما أشعر به، ولكن الذي أقوله يتفجر من أعماق قلبي.

٢١- عطف الموظفين

٩ يوليه – اليوم أقبل رئيس الحراس إلى خليتي ومعه موظف جديد في السجن. وفي كل يوم يجيء حراس مختلفون، وكلهم يعاملونني برقة وحنان كما لو كنت ابناً لهم.

وهذا ما يحملني على التفكير جدياً. حينما تُفتقد أسرة بالحزن، يتطوع الناس لمدّ يد المساعدة، ويعطفون في أول الأمر كثيراً، ولكن حتى الأقربين يملون بعد فترة من الزمن، وينتهي عطفهم إذا طالت أيام النكبة.

أما موظفو السجن وحراسه فقد أظهروا لي في الثلاث سنوات الماضية عطفاً منقطع النظير لم تبرد حرارته، لي أنا المجرم المحكوم عليه الذي أساء كثيراً إلى الآخرين بفعاله الشريرة. ولا أظن أني كنت سأظفر بمثل هذا العطف لو أنني بقيت كما أنا إنساناً لا خير فيّ، ولو لم تدركني نعمة المسيح فترفع من قدري. إن هذا كله راجع إلى محبة المسيح التي تغمرني، فله الشكر من أعماق قلبي.

وقد تحدثت عن الرحمة التي تبعتني أياماً وشهوراً، حتى يقرأ الناس في العالم قصة حياتي، ويعرفوا كيف أن مجرماً مهملاً مثلي يرتعب كل من عرفه لمجرد ذكر اسمه – يلقى مثل هذا العطف من موظفي السجن لأنه نال خلاص الله.

وأريد أن يعرف كل إنسان أني قضيت أيام سجني في سعادة وغبطة بفضل محبة الله التي لا تُستقصى. ومحبة المسيح تهب خلاصاً حقاً لكل طريد شريد إذا تاب وآمن.

٢٢ – النمل الصغير

١٢ يوليه – خرجت اليوم للرياضة اليومية كعادتي، فلاحظت شيئاً جعلني أفهم قوة الله بطريقة جديدة: رأيت أربع أو خمس نملات تسعى باجتهاد في طلب الغذاء. وكنت قد سمعت أن النمل من الحشرات الحكيمة الماهرة، فهي تخزن في صيفها ما يكفي لشتائها وتبقى في أمن تحت الأرض تقتات مما جمعته. ولكن حين ننظر إليها بأعين البشر نراها جديرة بالإشفاق والرثاء. فهي حين تسعى للحصول على غذائها لا تعرف موضع الأمان من موضع الخطر، وكثيراً ما تُداس بالأقدام. تعرف كيف تحصل على غذائها، ولكنها لا تعرف كيف تتقي الخطر في سعيها.

وقد فكرت في أنفسنا فإذا بنا نشبه النمل. فالله فوقنا يرقبنا ليل نهار، ونحن في أسفل تستهوينا لذات الجسد، وننغمس في مطامع العالم، ولا نعرف الأمكنة التي قد تسحق فيها نفوسنا. حقاً إننا نستحق – من وجهة نظر الله – الرثاء والإشفاق. هذا هو الذي فهمته.

وكما أن حشرات النمل تصان حياتها إذا التقطها إنسان رحيم ووضعها في مكان أمين، كذلك نصان نحن إذا تعلقنا بالمسيح.

٢٣ – كتابة رجل غير متعلم

١٣ يوليه – اليوم زارني في خليتي قاض ورئيس الحراس. فقال القاضي: «سمعت أنك مشغول بالكتابة، فما الذي تكتبه؟» فأجبته: «إني عرفت محبة المسيح منذ دخولي السجن، ولذلك أشغل دائماً بالكتابة عنها وبما ألقاه من موظفي السجن من عطف ورعاية، ولكن أنا كما تراني إنسان غير متعلم، ولا أستطيع التعبير عن كل ما يجول بخاطري. إني أكتب بكل بساطة كرجل بسيط جداً».

فقال القاضي: «ولكن هذا هو الذي يخلع المتعة واللذة على كتابتك. فحين يكتب الرجل الأديب يزوّق ويزخرف حتى تنعدم لذة الكلام. أما أسلوب الرجل البسيط غير المتعلم، فأفضل جداً. ولذلك أرجوك أن تستمر في الكتابة على طريقتك» [١].

وقلت لرئيس الحراس الذي جاء مع القاضي إني أريد أن أكتب رسالة للسيد سوزوكي المحامي لكي أشكره على ما أظهر لي من عطف، وما تكبد من عناء ونفقات من أجلي،

١ – ويروي كاهن السجن القصة التالية: ذهبت يوماً لزيارة إيشي، فوجدته جالساً يدرس باهتمام ونشاط مستعيناً بقاموس لفهم المعاني، كأنه لا يدري أن حياته قد تؤخذ منه في أية لحظة. فقلت له: «أخالك تظن أنه من الخير لك أن تقرأ وتدرس. ويهمني أن أعرف ما هو قصدك؟
فأجاب: «لأنني لم أنل قسطاً من العلم، لم أفهم الطريق الذي يجب أن أطرقه، وتهت بعيداً. وإني آسف كل الأسف وأريد أن أعوض الآن ما فاتني، لكي يعرف الناس على الأقل علة أخطائي».

ولكن لا أعرف كيف أعبر عن شعوري كما يجب. فأجابني رئيس الحراس: «كان السيد سوزوكي عطوفاً حقاً، وهو رجل موضع الإعجاب وحسن التقدير. ولكن كلنا نعطف عليك لأنك أُصلحت، وسلوكك الحسن هو خير دلائل الشكر». وبدون أن أدري تساقطت الدموع من عينيّ.

٢٤ – «عصاك وعكازك هما يعزيانني»

١٤ يوليه – اليوم يوم الأحد. وفيما أنا أقرأ المزامير، اصطدمت بهذه العبارة: «**عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي**» (مزمور ٢٣: ٤). فأخذت أفكر في هذه الآية، فحين نولد وندخل إلى هذا العالم، نفتقر أشد الافتقار إلى محبة المسيح كعكاز لنا. ونحن إذا سرنا في طريق العالم نكون عمياناً حتى وإن كانت أعيننا الخارجية مفتوحة، وبدون هذا العكاز لا نقدر أن نصل إلى هدفنا سالمين.

منذ سنوات رأيت كلباً أعمى يتحسس الطريق سعياً وراء طعامه، والإنسان يستطيع أن يمسك عكازه ليساعده على السير. أما الكلب الأعمى المسكين، فلأنه حيوان، لا يقدر على ذلك. فكان يسقط في الحفر والخنادق بحالة تدعو إلى الرثاء والإشفاق. ويومئذ لم أفكر في الأمر طويلاً لأني كنت بعيداً عن الله لم أعرفه، ولكن الآن أفهم معنى ذلك، وأظن أن ذلك الكلب المسكين لقي حتفه منذ زمن بعيد.

ولسنا نستطيع أن نبلغ هدفنا في السماء، إلاّ بإرشاد محبة الله، وبدونها نسقط في الطريق كذلك الكلب المسكين، فتهلك نفوسنا هلاكاً أبدياً.

٢٥ – قلب المسيحي

لا يقدر غير المؤمن أن يفهم قلب المسيحي، وذلك لأنه يجعل قلبه نموذجاً يقيس عليه. أما المسيحي فيقدر أن يفهم قلوب الآخرين لأنه يقدر أن يميز الأشياء بقوة المسيح. وللمسيح قول مأثور ينطبق على غير المسيحيين: «**لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانُ لاَ يَأْكُلُ خُبْزاً وَلاَ يَشْرَبُ خَمْراً، فَتَقُولُونَ: بِهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَٱلْخُطَاةِ. وَٱلْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا**» (لوقا ٧: ٣٣–٣٥). وهذه الأقوال تلقي نوراً على قلب غير المؤمن، وهي تنطبق على حالتي تمام الانطباق.

فإنه لما تعلمت بفضل المسيحية أن في الله قوة ومحبة، تبت عن خطاياي واعترفت أمام الله، وقلت الحق كله أمام المحكمة لكي اكفر عن خطاياي السابقة، فقال الناس «ايشي مجنون، لا يتكلم بعقل سليمٍ صاحٍ». وهذا يماثل أقوال المسيح التي اقتبستها.

ولكن لو كنت أخفيت الحقائق، وأبيت بعناد الاعتراف بالحق

على الرغم من الأدلة البينة، لقال الناس: «يا له من عنيد، وغد زنيم!» ولنعتوني بكل وصف ذميم. كل هذا يبين أن غير المؤمن لا يقدر أن يفهم قلب المسيحي.

١٥ يوليه – اليوم تحتفل اليابان من أقصاها إلى أقصاها بعيد الموتى الذين تعبد أرواحهم في كل مكان. ويقضي الكبار والصغار ثلاثة أيام في تكريم أسلافهم.

إلى الثالثة عشرة من عمري لم يكن فيّ اعوجاج، وقضيت أيامي سعيداً في البيت، وكنت أترقب بفارغ الصبر حلول أيام عيد رأس السنة وعيد الموتى، وكنت أحتفل بها في بهجة وحبور.

ولكن لما بلغت الثامنة عشرة، كان الشر قد استوطن قلبي ولم أكن أجد لذة في تلك الأعياد. وكانت الأسباب كثيرة، أولها أن قلبي كان شريراً، وثانيها أن أبويّ كانا يعنفانني دائماً حتى كنت أشعر بالقلق والضجر، وثالثها أني كنت دائماً في خوف من إلقاء القبض عليّ حتى كنت أرتعد من كل شيء، ومن كل إنسان. فإذا نظر إليّ أحدهم ظننته مخبراً أو بوليساً أقبل للقبض عليّ. لم أذق طعم الاطمئنان الفكري، فكيف يفرح قلبي ويبتهج. وكنت أنفق المال الذي حصلت عليه بالسرقة في شراء الملابس الغالية ظاناً أني أغتبط حين يعجب الناس بي. ولكن هيهات...

ولكن بعد أن قبلت محبة المسيح منذ دخولي السجن، أشعر بفرح من أعماق قلبي، لا في الأعياد فقط، بل في كل يوم، وهذا من رحمة ربي.

١٨ يوليه – اليوم جاء رئيس الكهنة للسؤال عن حالتي المعنوية والعقلية. وهو يعلم أني أؤمن بالمسيح، ولكنه يجيء كل أسبوع للتحدث معي. وكان المنتظر وهو بوذي أن يحدثني عن البوذية ولكنه لم يفعل، ولم يحرضني على أن أكون بوذياً، بل على نقيض ذلك شجعني على الاستمرار في إيماني المسيحي، بل قد أعارني بعض الكتب المسيحية لقراءتها. لذلك أُعجب بهذا الكاهن كل الإعجاب. وذلك لأن الرجل العادي في مثل حالته كان يتكلم سوءاً ضد المسيحية انتصاراً لقضيته على الأقل، ويحاول إقناعي لدراسة البوذية، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا، لذلك أحترمه وأجلّه.

وفي سياق حديثه معي اليوم، قال إنه كان يسأل عن حالة المحكوم عليهم بالإعدام وعن شعورهم الذي يواجهون به الموت. فقالوا له إنهم يتساءلون كل صباح أهذا اليوم هو آخر عهدهم بالحياة؟ فإذا رأوا حارساً مقبلاً إليهم ظنوه قادماً ليسوقهم إلى الموت. وينتظرون في ألم وفزع حتى الساعة التاسعة، فإذا لم يجئ أحد لاستدعائهم، عرفوا أنهم أفلتوا من الموت يوماً آخر، ولكن يشرق فجر اليوم التالي ومعه الخوف والفزع، وهكذا تتوالى الأيام في ألم وفزع.

ثم التفت إليّ وقال: «إن الفجر يشرق بأنوار الغبطة والسرور على أغلب الناس، أما هؤلاء المساكين البائسون الذين أخطأوا، فإن الصباح لا يحمل إليهم بين ثناياه غير الخوف واليأس. وإني حزين من أجل هؤلاء. فما هو إحساسك أنت حين تواجه هذه الأمور؟».

فقلت: «وأنا أيضاً حزين من أجلهم، ولكني لا أشعر كما يشعرون، وأنا مدين بهذا إلى قوة المسيح فيّ».

فسألني: «إذاً أتريد أن تموت سريعاً؟». ولما أجبته بالنفي قال: «إذاً ما هو رأيك؟».

فقلت: «في هذه الأيام لا أفكر أبداً في حياة الجسد أو موته. إن هذه المشكلة لا تخطر لي على بال. فقد وطنت العزم على أن أقبل مشيئة السماء، وتركت كل شيء بين يدي الله – وليس في عقلي أي ارتباك. فحينما يشرق الصباح أستقبل اليوم ببهجة وانشراح».

فقال لي الكاهن: «حسناً أن يكون فكرك هادئاً مطمئناً. ولكن قل لي كيف حصلت على هذا الإيمان؟».

فقلت له: «إني قرأت كتباً كثيرة». وهنا قاطعني قائلاً: «ولكن الناس يضمنون آراءهم المختلفة تلك الكتب الكثيرة بحيث يصعب أن تختار واحداً منها ليكون أساساً لإيمانك».

فتناولت نسخة من الإنجيل كانت قريبة مني وقلت له:

«ولكن كلمات المسيح مكتوبة في هذا الكتاب، وبتلاوتها أعلم أنه حالّ معي في هذه الخلية الضيقة. وإني وإن كنت لا أراه مرأى العين، فإني أتحدث معه كل يوم».

فأجاب الكاهن: «خير جداً أن يكون لك مثل هذا الإيمان وأريدك أن تزداد فيه تعمقاً».

ومنذ هذا الحديث وأنا أفكر في أولئك المساكين الذين يواجهون الموت مثلي، ولكنهم غارقون في آلام النزع. أما أنا فلا يعتريني أي اضطراب وأقضي أيامي في سرور لأن رحمة المسيح ومحبته يعزيانني. إنه من المرعب حقاً أن يضطرب الإنسان من أجل حياة الجسد وإني أشفق على أولئك الناس من أعماق قلبي. ليتني أراهم لكي أخبرهم عن محبة المسيح فينالوا سلاماً لنفوسهم. ولكن بالأسف لا سبيل إلى ذلك. وكل الذي أستطيعه أن أسأل صديقتيّ – عندما تقرآن ما أكتبه الآن – أن تفهما رغبة قلبي، وتعملا على إرشاد أولئك البائسين إلى المسيح. وفي الوقت نفسه سأصلي من أجلهم.

٢٦ – القاضي ورئيس الحراس

٢٤ يوليه – جاء اليوم ليعودني قاض ومعه أحد رؤساء الحراس. وقدم القاضي نفسه إليّ قائلاً إنه لم يكن له شأن في محاكمتي ولكنه اشترك في قضية كوموري. وقد جاء إلى

السجن في مأموريـة، ولكنـه رغب في أن يتحدث إليّ.

فقال: «سمعت أنك صرت مسيحياً. فهل يأتي أحد هنا لتعليمك؟». فأجبته أن مس وست ومس مكدونالد كانتا تجيئان أحياناً وتقدمان لي بعض الكتب، وقلت له إني لم أفهم الكتاب المقدس فهماً جيداً حتى قرأت صلاة المسيح من أجل أعدائه وهو على الصليب: «**يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ**» (لوقا ٢٣: ٣٤) فإنه ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يصلي الإنسان من أجل أعدائه في الوقت الذي ينتزعون حياته منه.

فقال القاضي: «إن إنساناً عادياً في مثل حالتك كان يسقط في بالوعة اليأس، ولكن الظاهر أنك قانع بنصيبك بقوة الله، وهذا حسن جداً، فلا تهمل إيمانك وسر إلى الأمام». ثم تركني فتأثرت جداً بهذا الكلام.

ومنذ قدومي إلى السجن، زارني بعض أفاضل الناس، وإني شاكر لهم عطفهم وإشفاقهم، وهذا كله مرده إلى رحمة المسيح ومحبته.

أما الرجل الآخر الذي جاء مع القاضي – واسمه وادا – فقد كان رئيس حراس سجن شيبا يوم كنت فيه في سنة ١٩٠٥ وكان لطيفاً جداً. ولما غادرت السجن صممت على أن أصلح شأني وأعيش حياة جديدة، وأحسست أني لو أهملت، فإني لا

أستطيع أن أرفع عيني في وجه السيد وادا مرة أخرى. ويدهشني أن يكون هذا السيد النبيل موظفاً الآن في سجن طوكيو، ولكم كانت دهشتي وخجلي حين رأيته، لأن الذي لا يردُّ المعروف إلى أهله لا يكون إنساناً، «ولا ينسى الفضل إلا الوحش الضاري». وطبيعي أن تبغض الإنسان الذي ينسى معروفك وفضلك، أما السيد وادا فلم تتغير معاملته لي وبقي يعطف عليّ كما كان في سجن شيبا. وإني لأخجل منه بحيث أشعر أحياناً برغبتي في الاختفاء والانزواء تحت حجر في الأرض. وعلى كل حال فإني أشكر الله من أجل رحمته بي وعطف الناس عليّ.

(وهنا تنتهي الكتابة. وكان آخرها في اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليه من سنة ١٩١٨).

من مذكرات السيدة كارولين مكدونالد

٨ أغسطس سنة ١٩١٨ – رأيته قبل أسبوعين بعد فراغه من الكتابة، وكانت تلك المرة آخر عهدي به. وقد جرت العادة في بلاد اليابان أن لا يُعلن يوم الإعدام، فلم يعرف هو، وما عرفت أنا أن هذا هو اللقاء الأخير. ولكننا ما كنا لنستبعد أن تدنو الساعة المعينة، حتى لقد قال لي: «لست أدري متى تجيء الساعة، ربما غداً، وربما بعد غد، ولكني قد فرغت من الكتابة وأكملت مهمتي. وإني منتظر أن أخلع عني جسد الخطية هذا وأعود إلى خالقي». وهنا لمع وجهه الملوث الذي شوهته الخطية، بلمعان ليس من هذا العالم.

وترى ماذا كان موضوع حديثنا؟ وماذا عساي أن أقول لإنسان سيشنق غداً، أو بعد غد، أو في اليوم الذي يليه. قرأت له بعض آيات من المزمور المائة والسادس عشر، وهي كلمات سطرت منذ قرون، ولكن إذ وقفت هناك أمام خلية السجن الضيقة أتحدث إليه من وراء قضبان من حديد، خيّل إليّ إنها كتبت لمثل هذه الحالة في بيت السجن: **«أَحْبَبْتُ لأَنَّ ٱلرَّبَّ يَسْمَعُ صَوْتِي، تَضَرُّعَاتِي... ٱكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ ٱلْمَوْتِ. أَصَابَتْنِي شَدَائِدُ ٱلْهَاوِيَةِ. كَابَدْتُ ضِيقاً وَحُزْناً. وَبِٱسْمِ ٱلرَّبِّ دَعَوْتُ: «آهِ يَا رَبُّ، نَجِّ نَفْسِي»... ٱلرَّبُّ حَافِظُ ٱلْبُسَطَاءِ»** (مزمور ١١٦: ١، ٣، ٤، ٦). (والترجمة اليابانية الأغبياء والبلداء).

وهنا قاطعني وقال: هذا ينطبق على حالتي فإني بليد غبي وقد حفظني.

ثم قرأت: «**تَنَذَّلْتُ فَخَلَّصَنِي. ٱرْجِعِي يَا نَفْسِي إِلَى رَاحَتِكِ لأَنَّ ٱلرَّبَّ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكِ**» (مزمور ١١٦: ٦ و٧). ونظرت إليه وإذا عيناه تلمعان بنور الفرح والابتهاج. وترى ما الذي فعله الرب بهذا الإنسان حتى يفكر أن الرب قد أحسن إليه، وهو يعلم أنه سيشنق في الغد؟ إن المزمور نفسه يجيب عن هذا السؤال: «**لأَنَّكَ أَنْقَذْتَ نَفْسِي مِنَ ٱلْمَوْتِ، وَعَيْنِي مِنَ ٱلدَّمْعَةِ، وَرِجْلَيَّ مِنَ ٱلزَّلَقِ**» (مزمور ١١٦: ٨).

ثم جاءت هذه الكلمات: «**عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ – عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ...**» (مزمور ١١٦: ١٥) وهنا توقفت عن القراءة ونظرت إليه، ولم يبق له شيء الآن غير الموت الذي به يمجد الله، وبغتة لاحت بمخيلتي وجرت على لساني عبارة أخرى، سطرت بعد المزمور بقرون، ولكن قبل عصرنا هذا بقرون: «**لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ. لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ**» (رومية ١٤: ٧ و٨). وقلت له: «اذكر هذا الكلام جيداً». ولم أقل له متى يذكر هذا الكلام، فإنه لم يكن ثمة داع لتعيين الزمن. فطأطأ رأسه برهة وأغمض عينيه، ورفع بصره ثانية فإذا بنور يبرق في وجهه مما أدهش رجال السجن الذين رأوه وقال: «فهمت.

فهمت. سأذكر هذا الكلام جيداً».

١٨ أغسطس – وبعد عشرة أيام تلقيت هذه الرسالة الرسمية من كاهن السجن وأيقنت أنه تذكر ما أوصيته به:

«في الصباح، في السابع عشر من شهر أغسطس، في الساعة التاسعة، أُعدم توكيشي إيشي في سجن طوكيو. وقد واجه الموت فرحاً بنعمة الله، وفي رباطة جأش وثبات جنان. وكان آخر ما تفَّوه به أن أُخبرك بحادث اليوم. وها أنذا أكتب لك بالنيابة عنه لأنبئك عن انطلاقه بسلام، وأبلغك شكره من أجل كل إحسانك إليه. وقد ترك لك كتبه ومخطوطته، وأرجو أن تحضري لأخذها من إدارة السجن. وطلب إليّ أيضاً أن أبعث إليك بكلماته الأخيرة التي كتبها في بيت شعري وهي:

«اسمي قد تنجس، وجسدي يموت في السجن، ولكن نفسي قد طهرت، واليوم تعود إلى مدينة الله».

وقد روى قصة إعدامه فيما بعد الكاهن البوذي الذي كان مرافقاً له فقال: «كثيرون من الذين يقضون فوق منصة الإعدام، يتجلدون ويواجهون الموت برباطة جأش، ليكتسبوا اسماً وشهرة في نهاية الحياة، ولكي لا يسخر منهم الشامتون. أما ثبات إيشي فكان من نوع آخر، فلم يبدُ عليه أنه من عشاق الشهرة والأحدوثة الحسنة، ولم يكن احتماله مجرد الاستسلام للقضاء المحتوم الذي لا بد منه. ولكنه في اتضاع وحماس وغيرة لم

ينظر إلا إلى العالم السماوي الذي كان يترقب العودة إليه بعد أن طرح عنه ثقل خطاياه وذنوبه، كإنسان غريب تسيل نفسه حنيناً للعودة إلى وطنه الأصلي. وقد أدى له جميع موظفي السجن الذين حضروا إعدامه واجب الاحترام والتكريم بعد أن رأوا صفاء محياه وشجاعة نفسه. وفوق منصة الإعدام، في الساعة التي ستذوب فيها حياته كنقطة الندى، ردد هذه الكلمات الأخيرة: «إن نفسي، وقد طهرت، تعود إلى مدينة الله».

هذا هو نص الرسالة التي تلقيتها من الكاهن، وبعد أيام استُدعيت إلى إدارة السجن لتسليمي بعض الأشياء. وهناك أُبرزت وثائق طُلب إلي أن أوقع عليها بإمضائي وأبصم بإبهام يدي إلى جانب إمضاء إيشي وبصمته، حيث كتب وصيته، وترك لي كل مقتنياته الأرضية. ثم سلموني كل ما تركه السجين الميت: قطعة نقود نحاسية لا تزيد قيمتها عن نصف غرش. وكانت هذه أول وآخر وصية تركت لي، وإني سأحتفظ بها ذكرى للأيام التي سلفت، وعربوناً للمجد العتيد أن يُستعلن.

مسابقة كتاب في أعماق السجون

عزيزي القارئ،

إن أرسلت إلينا إجابة صحيحة على عشرين سؤالاً من الأسئلة الخمسة والعشرين التالية، نرسل لك كتاباً جائزة من كتبنا المختلفة. نرجو أن ترسل مع الإجابة اسمك وعنوانك الكاملين لنرسل لك الجائزة.

١. ما هو وجه الشبه بين بولس الرسول وإيشي؟

٢. كيف أثرت معاملة وكيل السجن المسيحي في إيشي؟

٣. في تأملات إيشي – لماذا بدأ ارتكاب الجريمة، ولماذا استمر فيها؟

٤. ما هي الأفكار التي شغلت إيشي بعد أن اعترف بجرائمه كلها؟

٥. كيف تأثر قلب إيشي وهو يقرأ: «يا أبتاه اغفر لهم»؟

٦. ما المعنى الموجود في قصة «سوجورا ساكورا»؟

٧. كيف تفسر صلاة إيشي أن تحكم عليه المحكمة بأنه مذنب؟

٨. ماذا كان رد فعل رئيس كهنة السجن على إيمان إيشي بالمسيحية؟

٩. كيف تخلص إيشي من عقدة الذنب بعد إيمانه بالمسيح؟

١٠. ماذا قال أريما مدير السجن لإيشي عندما زاره؟

١١. اكتب الجزء الأخير من قصيدة إيشي.

١٢. ما هو الفرق بين محامي إيشي في المحكمة الابتدائية ومحاميه في محكمة الاستئناف؟

١٣. ماذا تعلم إيشي من المرض الذي أصابه في السجن؟

١٤. لماذا غرد العصفور الصغير لما رأى القطة؟ وماذا تتعلم من هذا؟

١٥. لماذا لام الطفل الصغير أمه بعد صلاتها؟ وماذا تعلم إيشي من ذلك؟

١٦. «أنت تكره ما لم تذقه» – كيف طبق إيشي هذا على المسيحية؟

١٧. ماذا تعلم إيشي من ركوب الدراجة؟

١٨. لماذا لم يخف والد الصبي من عفريت البئر؟ وماذا كان مصدر الصوت؟

١٩. في انتظار حكم الإعدام – ماذا كان إيشي يفعل في الصباح؟ وماذا كان يفعل بعد الظهر؟

٢٠. لماذا لم يعد إيشي يخاف الزلازل؟

٢١. ماذا تعلم إيشي من فتح صمامة البخار؟

٢٢. كيف برهن إيشي أن قلبه قد تغيّر؟

٢٣. ما هو الفرق بين عطايا الله وعطايا الناس؟

٢٤. ماذا تعلم إيشي من النمل الذي كان يجمع غذاءه؟

٢٥. ماذا تعلم إيشي من الآية: «عصاك وعكازك هما يعزيانني»؟

Call of Hope · P.O.Box 10 08 27· 70007 Stuttgart · Germany